وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾

**شرح الكلمات:**

**لَوَاقِحَ**: يقال: لقحت الناقةُ لَقاحًا وكذلك الشجرةُ: (أي صارت حُبْلى). وألقحَ فلان النخلَ: (أي أبّرها). وأرسلنا الرياحَ لواقحَ: أي ذوات لَقاحٍ (المفردات). واللواقح من الرياح التي تحمل الندى ثم تمجّه في السحاب، فإذا اجتمع في السحاب صار مطرًا (الأقرب).

**التفسير**: اللواقح هي الرياح التي تحمل ذرات اللقاح من عضو المذكر إلى عضو المؤنث من الأشجار؛ فتأتي بثمارها. وتعني اللواقح أيضًا الرياح التي تحمل البخار الصاعد من على سطح الأرض ثم تؤلّف بينه فيصير سحابًا.

وقد ينطبق هنا كلا المعنيين لكلمة اللواقح؛ فيبين الله تعالى: نرسل الرياح التي تحمل ذرات اللقاح من عضو المذكر إلى عضو المؤنث من الأشجار لتكون صالحة للإثمار؛ كما نرسل أيضًا الرياح التي تحمل البخار الصاعد من على سطح الأرض ثم تؤلّف بينه فيصير سحابًا ينزل في شكل المطر على الأشجار التي لقّحتها الرياح الأولى، لتكون هذه الأشجار أكثر ريعًا وإنتاجًا.

وأخيرًا لَفَتَ النظر إلى أمر هام حيث بيّن أن هذا الماء، الذي يوجد بكثرة والذي هو بالغ الأهمية للإنسان، لا يستطيع الإنسان تخزينه، فكيف يدّعي إذن أنه قادر بنفسه على الحفاظ على ما يحتاج إليه في المجال الروحاني.

لقد وجّه الله الخطاب هنا إلى الكفار والمؤمنين معًا فيما يتعلق بحفظ الوحي. فأما الكفار الذين قالوا: ما الداعي لنزول القرآن الكريم رغم وجود الأسفار السابقة، فأجابهم: ألستم بحاجة إلى السحب رغم المياه الأرضية؟ لماذا؟ لأن المياه الأرضية لا تبقى صالحة بدون المطر من السماء.

وأمـــا المســـلمون فنبّههم ألا يغتروا من وجود القرآن بينهم، فيظنوا أن هذا كـــاف. كلا، وإنما عليهم أن يدركوا أن الماء السماوي لا يعود إليهم صافيًا إلا مـــن قِبل السماء. فكلما يكدّرون ماء معارف الوحي القرآني بشوائب أفكارهم الفاســـدة سوف يدبّر الله تعالى من السماء تصفيةَ هذا الماء الروحاني ليعود إلى الدنيا صافيًا نقيًّا مرة أخرى.

وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٤﴾

**شرح الكلمات:**

الوارثـــون: اســـم فاعل من وَرِثَ؛ الباقي بعد فناء الخلق، وفي الدعاء: "اللهم أَمْتِعْني بسمعي وبصري، واجْعلْه الوارثَ مني".. أي أَبْقِهما معي صحيحين حتى أموت (الأقرب).

**التفســـير**: يقول الله تعالى: نحن الباقون وأنتم الفانون، وكيف تستطيعون أيها الفـــانون أن تحـــافظوا على وحينا. لذلك فلا نفوّض أمر حماية الوحي إلى البشر المعرَّضين للفناء.

وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٥﴾

**التفسير**: أي لا تقولوا: ما دام المؤمنون موجودين في الدنيا فكيف لا يستطيعون الحفاظ على الوحي؟ ذلك أن حماية القرآن لا تتم بالعلوم الظاهرة وحدها، وإنما مدارها على طهارة القلب، والله تعالى وحده يعلم أحوال القلوب، وهو الوحيد الـــذي يعلم من هو المخلص في إيمانه والسابق في الخير حقيقةً؛ ولذلك فإنه ﷻ يـــتولى بنفسه عملية تعيين المحافظين على هذا الوحي. فمن رآه سبّاقًا في طهارة القلـــب عهـــد إليه هذه المهمة، أما الذين وجدهم مقصّرين في طهارة الباطن لم يعتبرهم أهلاً لحمل هذه المسئولية، وإن كانوا جهابذة في العلوم الظاهرة.

وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

**شرح الكلمات:**

**يحشُر**: حشَر الناسَ يحشر حشْرًا: جمَعهم. ويومُ الحشر: يوم البعث والمعاد، وهو مأخوذ مِن حَشَرَ القومَ إذا جمَعهم. والحاشر اسمٌ من أسماء نبي المسلمين (الأقرب).

**التفسير**: يسمّى يوم البعث بعد الموت حشرًا لأن الله تعالى سوف يحشر فيه الأولين والآخرين. ويُطلَق الحشر أيضًا على ذلك الاجتماع الذي يتم في الدنيا على أيدي الأنبياء.. حيث يُخرج الله القوم كله من شتى الاختلافات والنزاعات لينخرطوا في سلك الوحدة تحت راية نبيهم. ما من نبي إلا وقد تم على يده هذا الحشر. انظروا إلى الحشر الرائع الذي وقع في عهد النبي ﷺ حيث جُمع أصحاب الأفكار المتباينة على كلمة واحدة، ثم انتشروا في العالم أجمع.

وهذه الآية تشير إلى الحشر بنوعيه الدنيوي والأخروي. فقال عن الحشر الدنيوي: إن قومك، يا محمد، يعارضونك اليوم ولا شك، لكننا سنجمعهم كلهم على يدك في يوم من الأيام.

وذكر الله ﷻ هنا صفتَي ﴿حكيم عليم﴾ ليبيّن أنهم لن يُجمَعوا حول النبي ﷺ فورًا لأن هذا ينافي الحكمة الإلهية. وذلك (أوّلاً) لأن السبيل لجمعهم حوله ﷺ على الفور هو أن يتصرف الله في قلوبهم فيُكرِههم على الإسلام، ولكن إسلامهم هذا ما كان لينفعهم شيئًا، لأن مثل هذا الإيمان لا يُكسب صاحبَه جزاء ولا إنعامًا. و(ثانيًا) لو أنهم آمنوا بهذا الأسلوب لما انكشف للناس الفرق بين ضعاف الإيمان وبين أصحاب القوى الروحانية العظيمة الذين يعرفون النبي منذ البداية، ولَمَا أمكنَ التمييز بين أبي بكر ﷺ وأبي جهل، ولما عرفت الدنيا الكفاءاتِ الكامنة في الأول والجهالةَ المتأصلة في الأخير. فمن أجل هذه الحِكم لم يُجبرهم الله على الإسلام، وكانت النتيجة أن عرف الناس مزايا الكاملين وكذلك مَن

دونهم من المؤمنين، كما عرفوا أيضًا الحالةَ المتردية للذين كانوا عاطلين أصلاً من أي خـــير وصلاحية؛ فانتفعت الدنيا من كفاءات أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كلٍّ في عهده – رضوان الله عليهم. ولو أن الجميع آمنوا في أول يوم فلربما اختار القـــوم أبا جهل أو مَن على شاكلته سيدًا عليهم بسبب سيادته السابقة، وبالتالي لحُرموا من المنافع التي جنوها من أبي بكر وغيره من الصحابة الأوائل الذين سبقوا بالإيمان.

وأمـــا صـــفة ﴿عليم﴾ ففيها تذكير إلهي للنبي ﷺ بأن تأخير إسلام القوم لهذه الحكمة يجب ألا يولّد فيك اليأس، فإننا نؤكد لك – بناءً على علمنا – أن القوم جميعًا سوف يجتمعون على هذا الدين.

أما بالنظر إلى الحياة الآخرة فالمراد من هذه الآية أن الأولين والآخرين سوف يُحشرون جميعًا عند الله في يوم من الأيام، ليُجزَوا على أعمالهم. فيجب ألا يضيق أحد ذرعًا مما يلاقيه المسلمون اليوم من أذى وفتنة، وألا يُعتبر خائبًا مَن يُقتَل في هذه المعركة الدائرة بين قوى الرحمن والشيطان قبل فتح المؤمنين، لأن يوم الجزاء الحقيقي سوف يكون بعد الموت، إذ لم يجعل الله – لحكمته وعلمه – هذا العالم دار الجزاء الحقيقي.

## وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾

**شرح الكلمات:**

**صلصـــال:** صلْصَلَ الشيءُ: صوَّتَ. وصلصل الجرسُ: رجّع صوتَه. وصلصل فلانًـــا: أوعَدَه وهدّده. وصلصل زيد: قتَل رئيسَ العسكر. (ذلك لأن قتل قائد الجيش يحدث ضجة كبيرة بين القوم). وصلصل الرعدُ: صفا صوتُه. والصلصال: الطينُ الحُرّ خُلِط بالرمل؛ وقيل: الطين ما لم يُجعل خزفًا (الأقرب).

وصَلَّ اللجامُ وصلصلَ وكُلُّ يابس يصلصل: امتد صوتُه. وفي رواية: "أحيانًا يأتيني (أي الوحي) مثلَ صلصلة الجرس". والصلصال: الطين الحرّ خُلِط بالرمل فصار يتصلصل إذا جفّ، فإذا طُبِخ فهو الفخّار. وقال مجاهد: الصلصال: حَمَأٌ مسنون. وصلصل الرجلُ: أوعَدَ وتهدَّد؛ وأيضًا إذا قَتَلَ سيدَ العسكر. وتصلصل الغدير: إذا جفّتْ حَمْأَتُه. وفرس صلصالٌ: حادّ الصوت دقيقُه. وقال أبو أحمد العسكري: يقال للحمار الوحشي الحادِّ الصوت صالّ وصلصالٌ، وبه فُسِّر الحديث: أتحبّون أن تكونوا مثل الحمير الصالّة؟ كأنه يريد صحيحة الأجساد شديدة الأصوات لقوّتها ونشاطها. (تاج العروس)

وعن ابن عباس: الصلصال هو الماء يقع على الأرض فتنشقّ فيجفّ ويصير له الصوت. والصلصال: الطينُ اليابس يصلّ أي يصوّت عند النقر؛ أو (الطينُ) المنتنُ. (انظر مجمع بحار الأنوار تحت "صلصال")

**حَمَأ**: حَمَأَ يحمَأُ البئرَ: نزع حَمْأَتَها. والحَمَأُ والحَمْأُ: كلُّ ما كان من قِبل الزوج مثل الأخ والأب. والحَمَأُ: الطين الأسود (الأقرب).

**مسنون**: سَنَّ السكّينَ يسُنّ سَنًّا: أحَدَّه وصقَله. وهذا مما يسنُّك على الطعام.. أي يشحّذك على أكله ويشهّيه إليك. وسنَّ الطينَ: عَمِلَه فخّارًا. وسنَّ الشيءَ: سهّله؛ صوّره. وسنَّ على القوم سُنّةً: وصَفها. ( ومنه العمل المسنون.. أي ما أقرّه لنا النبي ﷺ). الحمأُ المسنون: المنتنُ. والمسنونة: الأرض التي أُكل نباتُها (الأقرب).

**التفسير**: لقد اختلف المفسرون في تفسير كلمة ﴿مِن حمأٍ مسنون﴾ الواردة في قوله تعالى: ﴿من صلصال من حمأ مسنون﴾، فقال بعضهم: إن ﴿مِن حمأٍ﴾ في موضع جرٍّ صفةٌ لصلصال.. أي الصلصال الذي تكوَّن من حمأ مسنون (الإملاء، والكشاف). بينما يرى الحوفي أن ﴿مِن حمأٍ مسنون﴾ بدلٌ من قوله تعالى ﴿مِن صلصال﴾. (البحر المحيط لأبي حيان، وإملاء ما من به الرحمن لأبي البقاء)

فتعني الآية – على القول الأول – أن الإنسان في حالته الأولى كان حمأً مسنونًا ثم تحوَّلَ إلى صلصال؛ وتعني – على القول الثاني – أن الصلصال والحمأ المسنون إنما تشيران إلى شيء واحد، وقد جيء بهذين المترادفين توضيحًا للمراد فحسب.

وفي حالة قبول الرأي الثاني أرى أن الأصح هو ألا نعتبر كلمة "مِن حمأ مسنون" بدلاً، بل نعتبرها عطفَ بيان، لأنه في حالة "البدل" يكون الاسم الثاني هو المقصود، بينما يُؤتى بالاسم الأول لتقريب المعنى فحسب؛ ولكن في حالة "عطف بيان" يكون الاسم الأول هو المقصود بينما يُؤتى بالاسم الثاني لتوضيح المراد أكثر. وأرى أن "من صلصال" في هذه الآية هو المراد الأصلي، وأن "من حمأ مسنون" بيان وتوضيح له.

وعليه فالمراد من الآية أن الله تعالى أخبر الملائكة أنني سأخلق بشرًا من تراب مصوِّت، أي من حمأ قد أُفرغَ على شكل معين؛ بمعنى أن الإنسان خُلق من تراب ممزوجٍ بالماء، موضوعٍ في قالب معين، فارغٍ باطنُه، يُحدث صوتًا عند الضرب.

وقد أشيرَ في هذه الجملة إلى عدة أمور هي: الأول: أن الإنسان مخلوق من التراب. والثاني: أنه قد رُكّب تركيبًا خاصًا بحيث إنه يشعُر في داخله بفراغ. والثالث: أنه يُحدث الصوت عند الضرب.. بمعنى أنه قادر على تلبية النداء الإلهي، مثل الإناء الأجوف الذي إذا ضُرب رجّع الصوت. ذلك أن الله تعالى حينما يضرب الإنسانَ أي يختبره فإنه لو كان صالحًا سليم الباطن يستجيب له ويلبّي نداءَه ﷻ. وهذا هو ما يميّز الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى.. أعني أن الإنسان صالح لقبول الاختبار الإلهي ولاستجابة ندائه.

أما الصورة التي خُلق عليها الإنسان في البداية والتي تشير إليها كلمة ﴿حمأ مسنون﴾ فلم يحدّدها القرآن الكريم، ومن الممكن أن تكون تلك الصورة البدائية غيرَ مرئية كليةً بالعين المجردة. ومهما يكن من أمر فإن تلك الصورة الإنسانية الترابية الأولى كانت منذ البداية صلصالاً، بمعنى أنها كانت صالحة لأن يختبرها الله فتستجيب له ﷻ.

لقـــد اتضـــح من ذلك أن القرآن الكريم يسلّم بتطور الخَلق الإنساني، ولكنه تطـــورٌ مخطَّـــط مدروس منذ البداية، وليس تطورًا عشوائيًّا حدث صدفة. يخبرنا القـــرآن أن خلق الإنسان تم بالتدريج مرحلةً فمرحلة، ولكنه لا يسلّم بأن الخلية الحياتية التي قدِّر لها أن تصبح إنسانًا كانت في أي وقت شيئًا غير إنسان، بل إنه يؤكـــد أن تلك الخلية، منذ أن خُلقت وبأية صورة خُلقت، كانت مزودة بقدرة على أن تصبح إنسانًا وأن تتلقى الإلهام. إنها في كل مراحل خلقها كانت متجهةً إلى غاية محددة مخططة، وليس كما تقول نظرية داروَن أن بعض أجزائها لم تزل تـــتفرع عنها في حالتها الناقصة، بينما لم تزل بعض أجزائها الصالحة في التطور والتقدم منفصلة.

لقـــد فسّر المفسرون عمومًا كلمة "مسنون" بمعنى "مُنتِن"، بينما فسّرتُها بمعنى مصوَّر، ذلك لأن العلامة أبا حيان قال في تفسيره: "وقال غيرُه إن "المسنون" مِن أَسَـــنَ الماءُ: إذا تغيَّرَ. ولا يصحّ لاختلاف المادتين". (البحر المحيط، تحت هذه الآية).. فمـــا دامـــت كلمة "السَّنّ" تعني أيضًا إقرار العمل، والتصوير، وتشحيذ الشيء وصقله، وعمل الفخّارِ.. فيجب أن نقول إن المسنون بمعنى المتغير المنتن مجاز، وأن معناه الحقيقي هو الشيء المعمول على صورة معينة أو المركَّب تركيبًا يُحدث فيه الصوت.

هذه الآية تمثّل ردًّا على الذين يستغربون من ظاهرة الوحي الإلهي قائلين: كيف يمكـــن أن يكلّم الله البشرَ؟ فيردّ الله عليهم: ليس غريبًا أن يكلم الله ﷻ البشرَ، وإنمـــا الغريب ألا يكلّمهم. ذلك أن الإنسان مجبول، منذ بداية خلقه، على تلقي الوحـــي مـــن عند الله تعالى، وأنه ﷻ قد حدد غاية خلق الإنسان أن يصل إلى الكمـــال، فيتشرف بوحيه ﷻ. فلا تقولوا: كيف تلقى محمد ﷺ الوحي من الله تعالى، أو كيف يمكن أن يتشرف أتباعُه بالإلهام في المستقبل لحماية الوحي النازل عليه ﷺ، بل الحري أن تتعجبوا على حالتكم، لأنكم- رغم كونكم مخلوقين من

صلصال- لا تزالون محرومين من نعمة الوحي الإلهي، فيجب أن تهتموا بإصلاح أنفسكم.

كان الحديث في الآية السابقة عن الحشر حيث قال الله تعالى: ﴿وإن رَبَّكَ هو يَحشُرهم إنه حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، وأما الآن فبدأ الحديث عن خلق آدم. فهل هذا الأسلوب محض صدفة، يا تُرى؟

إن دراسة القرآن الكريم تكشف لنا أنه كلما تناول موضوعَ خَلْق آدم تحدث قبله دائمًا عما هو ذو صلة بالحشر أو البعث بعد الموت. وإليكم بيان ذلك:

أولاً- ورد في سورة البقرة قبل الحديث عن خلق آدم: ﴿كيف تَكفُرون بِاللهِ وكنتم أَمواتًا فأَحياكم ثم يُمِيتُكم ثم يُحيِيكم ثم إليه تُرجَعون﴾(الآية: ٢٩)

ثانيًا- وفي سورة الأعراف تناول الله تعالى موضوع الحشر من بدايتها حتى الآية رقم ١١، ثم أردفه بحديث خلق آدم.

ثالثًا - وهنا في سورة الحجر تحدث أولاً عن الحشر، ثم ذكرَ خلق آدم.

رابعًا - ثم في سورة الكهف ذكر الله الحشر والبعث والجزاء ثم قصة آدم فقال: ﴿ويومَ نُسيِّرُ الجبالَ وترى الأرضَ بارزةً وحشَرْناهم فلم نُغادِرْ منهم أَحَدًا * وعُرِضوا على ربِّكَ صَفًّا لقد جئتُمونَا كما خَلَقْناكم أوّلَ مرّةٍ بل زعَمتم أَلَّنْ نجعَلَ لكم مَوعِدًا * ووُضِعَ الكتابُ فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا وَيلَتَنا مَالِ هذا الكتاب لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرة إلا أحصاها ووجَدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربُّك أَحَدًا * وإذْ قلنا لِلملائكةِ اسْجُدوا لآدَمَ فسجَدوا إلا إبليسَ.....﴾(الآيات: ٤٨-٥١)

خامسًا- وفي سورة طه ذكر الله ﷻ أولاً موضوع الحشر مفصلاً من قوله تعالى ﴿يَومَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ونَحشُرُ الْمُجرِمِينَ يَومَئِذٍ زُرْقًا﴾ حتى قوله ﴿وقُلْ رَبِّ زِدْنِي علمًا﴾، ثم تحدث عن آدم وقال ﴿ولقد عَهِدْنا إِلى آدَمَ..﴾(الآيات ١٠٣- ١١٦).

سادسًا – ثم في سورة ص ذُكرت الجنة والنار قبل الحديث عن خلق آدم (الآيات: ٥٠– ٨٩)

فبالنظر في هذه الأماكن كلها يمكن حتى لمعارضي القرآن أن يدركوا أن الذي أنزل القرآن قد راعى ترتيبًا معينًا، سواءً فهموه أم لا، وأن القول بعدمِ وجودِ ترتيبٍ ولا ربطٍ في الوحي القرآني زعمٌ باطل تمامًا. وإلا فلمَ لم يتناول القرآن موضوع الحشر قبل الحديث عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام، بينما تحدث دائمًا عن هذا الموضوع بالذات قبل أن يتطرق إلى قصة آدم؟

هناك أمثلة كثيرة على ذلك حيث تكررت في أماكن معينة من القرآن الكريم بعضُ المواضيع المعينة بأسلوب معين في كل مرة. وعلى سبيل المثال، كلما أنبأ الله ﷻ عن ازدهار الإسلام وانتشاره انتشارًا عالميًّا سجّل هذا النبأ مشفوعًا بذكر المسيح عليه السلام. لقد تكرر هذا الموضوع في ثلاثة أماكن، وفي كل مرة تطرق الحديث إلى المسيح.

وأرى أن لمعارف القرآن كلها مفتاحًا وسرًّا، وهذا المفتاح يطّلع عليه الإنسان من خلال الإلهام الإلهي أحيانًا، وفي أحيان أخرى بإعمال الفكر والتدبر في آيات القرآن الكريم. فقد أُلقيَ في روعي مرة أن مفتاح معارف سورة البقرة هو قوله تعالى: ﴿رَبَّنا وَابْعَثْ فيهم رسولاً منهم يَتلُوا عليهم آياتك ويعلِّمهمُ الْكتابَ والحِكمةَ ويزكِّيهم إنك أنت العزيزُ الحكيمُ﴾(الآية: ١٣٠). فتمكنتُ – بمساعدة هذا المفتاح – من حل جميع الأماكن الصعبة من سورة البقرة. كذلك ألقى الله ﷻ في قلبي مرة أن البسملة مفتاح لمعارف كل سورة من سور القرآن الكريم، ومن أجل ذلك وردت في مستهل كل سورة. مع العلم أن سورة التوبة خالية من البسملة لكونها في الواقع تكملةً لسورة الأنفال.

أعود مرة أخرى إلى ما كنت بصدده وهو التأكيد أن القرآن قد ذكر الحشر قبل الحديث عن آدم في كل مرة، وهذا يدل صراحةً على أن بين الموضوعين صلة وثيقة، وهي كالآتي:

أولاً: إن قضـــية حشـــر الأجساد والجزاء منوطةٌ تماماً بخلق آدم. ذلك أنه لو لم يكـــن هناك كائن عاقل قادر حر في أعماله لما كانت هناك من إمكانية للحشر والثواب والعقاب. فالحيوانات مثلاً لا تعمل وفق أية شريعة، لأنها لا تملك عقلاً، وبالتالي لا تستحق أي ثواب أو عقاب، ومن ثم لا تحتاج إلى أي حشر حقيقي. كذلك الملائكة لا تستحق أي جزاء على أفعالها، لأنها لا تملك حرية ولا إرادة، وإنما جُبلتْ على فعل الخير فحسب، كما صرّح الله بذلك قائلا: ﴿ويفعلون ما يُؤمَرون﴾(النحل: ٥١). أما الشيطان فهو أيضًا لا يستوجب العقاب، لأنه يؤدّي واجـــبه، شأنه شأن الأشياء الرديئة الأخرى التي لا تستوجب العقاب لأنها رديئة في حـــد ذاتهـــا. وأما الشياطين من الناس فلا جرم أنهم يستحقّون العقاب على أعمـــالهم، لأن الحشـــر لن يقوم إلا لحساب الإنسان.. هذا الكائن الذي يملك الإرادة والحرية في أعماله. فثبت أن خلق الإنسان هو السبب لوقوع الحشر، ومن أجل ذلك كلما تحدث القرآن عن خلق آدم ذكَر قبله الحشر، وذلك تدليلاً على أن الخلـــق الإنساني يتطلب حشرًا، وأن الحشر يقتضي نزول شريعة، إذ لا منطق في أن يعاقَب أو يثاب أحد على عمله من دون أن تقام عليه الحجة.

وثانيًا: إن خلق الإنسان دليل على وجود الحشر وإليكم بعض الأدلة على ذلك:

١- لقد اكتمل خلق الإنسان عبر عملية التطور من أدنى حالات الخلق. وهذا يشـــكل دليلاً على وجود دار الجزاء، إذ لو أن الإنسان خُلق هذه الخلقة الكاملة مرة واحدة لأمكن القول بأنه خُلق صدفة، شأنه شأن الأشياء الأخرى التي أيضًا خُلقت بالصدفة نتيجة التغيرات الطبيعية. ولكن كون الإنسان قد تطورَ من أدنى حـــالات الخلق مرورًا بكثير من المراحل والتقلبات، ثم توقّفَ تطوره بعد اكتمال خلقه في الصورة الحالية و لم يصبح مخلوقًا آخر.. كل هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الخلق الإنساني تم بحسب تخطيط معين، وأن الإنسان هو الغاية من خلق الكون كله.

٢- هناك قوتان في الدنيا: قوة الخير وقوة الشر، والإنسان مزود بكلتيهما وقادر على التصرف بأيتهما شاء، مما يدل أنه خُلق ليحكم الدنيا؛ فلزم أن تكون نتيجة حياته أكثرَ من عمله، وهذا لا يتحقق إلا بوجود يوم الحشر والجزاء.

٣- الرقي المادي متوقف على اتباع السنن الطبيعية، لا على المُثل الأخلاقية والروحانية، ولكننا نجد أن الأخلاق النبيلة والأحوال الروحانية تشكّل الجزء الأكبر من كيان الإنسان؛ فلا يمكن إذًا أن يكون الرقي المادي هو الغاية التي يصبو إليها الإنسان، بل لا بد من مكان آخر ينال فيه الإنسان الجزاءَ على ما يقدّمه من تضحيات أخلاقية وروحانية.

أما قوله تعالى ﴿مِن حمأ مسنون﴾ فبيّن فيه أن الإنسان مخلوق من الماء والتراب، لأن الحمأ يعني خليطًا من الماء والتراب. وقد ذكر الله ﷻ كل واحد من هذين العنصرين منفصلاً في أماكن أخرى، فقال في موضع: ﴿وجَعَلْنا من الماء كلَّ شيء حيٍّ﴾(الأنبياء: ٣١)، وقال في موضع آخر: ﴿إنّ مَثَلَ عيسى عند اللَّه كمَثلِ آدمَ خلَقه مِن تُرابٍ ثم قال له كُنْ فيكون﴾(آل عمران: ٦٠).

وأما هنا في سورة الحجر فأشارَ إليهما معًا بكلمة ﴿حمأ﴾ فقال: ﴿مِن صلصال مِن حمأ مسنون﴾.. أي خلقنا الإنسان من خليط الماء والتراب الذي أُفرغ في صورة معينة ليكون قادرًا على إحداث الصوت. فكلمة ﴿صلصال﴾ تشير صراحةً إلى قوة النطق التي يمتاز بها الإنسان عن سائر الحيوانات الأخرى، وكأنه قال: إن الكائنات الحية كلها مخلوقة من ﴿حمأ مسنون﴾، ولكن الإنسان تغلب عليه الصفة الصلصالية، ومن أجل ذلك نجد الحديث الشريف - الذي مر ذكره في شرح الكلمات - يسمّي الناسَ: (الحمير الصالّة)، وهي كلمة مشابهة للصلصال.

هذا، وإن كلمة ﴿صلصال﴾ تشير أيضًا إلى أن نطق الإنسان متوقف على إرادة الله ﷻ، لأن لفظ (صل) أو (صلصل) يدل على صوت يحدُث بالضرب. وهذه هي حقيقة الإنسان تمامًا، إذ لا يصدر عنه الصوت الذي هو مخلوق من أجله ما

لم يضـــربه الله تعالى.. بمعنى أنه تعالى يشرّفه بكلامه ﷻ بعد اختباره بإلقائه في المحن والمصائب.

وقولـــه تعالى ﴿مِن حمأ مسنون﴾ لا يعني أن الإنسان خُلق من تراب لا حياة فيه. كلا، إنما المراد منه البيان أن المادة الحيوانية لا يمكن أن تتطور بدون الجسم، والجســـم يـــتكون من التراب؛ وإنما استُخدم هذا التعبير ليعرف الإنسان كيف كانت بدايته.

علمًا أن ادعاء العلماء بأن المادة الحيوانية لا تتولد إلا من حيوان لزعمٌ يفتقر إلى البحـــث والتحقـــيق؛ ذلك أن دليلهم الوحيد هو مشاهدتهم الحالية؛ ولكن من البديهي أن هناك بونًا شاسعًا جدًّا بين الظروف السائدة الآن وبين ما كان عليه الكـــون لـــدى خلـــق هذه المادة الحيوانية الأولى. ثم إن هؤلاء العلماء أنفسهم يعـــترفون بأن المادة الحيوانية الأولى نفسها لم تزل تتطور حتى أصبحت في وقت من الأوقات إنسانًا، بيد أن هذا لا يحدث الآن؛ مما يوضح أن هناك تفاوتًا كبيرًا جـــدًّا بـــين الظروف الحالية وبين ما كان عليه الكون عند بداية خلقه. كانت الأحـــوال آنذاك مواتيةً جدًّا لخلق الحياة بسرعة هائلة، ولكن الأمر ليس كذلك الآن. فمن المحتمل أن تكون الذرات الخالية من أي حياة تنقلب عندئذ إلى ذرات حـــية بســـبب بعض التقلبات، ولكن الظروف لم تعد كذلك بعد أن اكتسبت الأرض الكمـــال. إذًا فليس من العلم في شيء أن يقيس هؤلاء الظروفَ المتفاوتة المختلفة بمقياس واحد.

كمـــا أن هـــذه الآية لا تعني أن الإنسان صار إنسانًا فجأةً، فإن القرآن الكريم يـــنصّ مرارًا أن الكون قد خُلق تدريجيًّا. وأخبر أن الخلق الإنساني نوعان: الخلق الـــترابي والخلق التناسلي، كما قال الله تعالى ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾(يونس: ٣٥). ونجـــد أن الخلق التناسلي يتم تدريجيًّا حيث لا يولد المولود فور اجتماع الزوجين؛ فلماذا لا نسلّم إذًا بأن الخلق الترابي قد تم كذلك تدريجيًّا؟

فالحق أن هذه الآية تشير فقط إلى تلك المرحلة من الخلق الإنساني التي تطورت فيها قواه الحيوانية وزُوِّد بالقوى الإنسانية التي ميّزته عن الحيوانات الأخرى، وهي المرحلة الصلصالية للحمأ المسنون، التي زُوِّد فيها الإنسان بصلاحية تلقّي الوحي. أو أن الآية مجرد إشارة إلى تلك المرحلة من خلقه حين دبّت فيه الحياة.

ولو قيل: لماذا نسلّم بأن هذه الآية تشير إلى بداية المرحلة الإنسانية أو الحيوانية من الخلق البشري، ولماذا لا نقول إنما تعني أن الله تعالى بدأ خلق البشر بأن صنع تمثالاً من الطين ونفَخ فيه الروح، فصار إنسانًا؟ فالجواب أن القرآن الكريم نفسه ينفي كون هذه الآية تتحدث عن بداية الخلق الإنساني، والدليل على ذلك هو قول الله تعالى ﴿وَمِنْ آياته أَنْ خَلَقَكم مِن تُرَاب ثم إذا أنتم بَشَرٌ تَنتشِرُونَ﴾ (الروم:٢١). فهناك تعارض في الظاهر بين هذه الآية وبين التي نحن بصدد تفسيرها، لأن هذه تذكر خلق الإنسان من تراب، بينما الآية التي نحن بصدد تفسيرها تعلن عن خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون. فثبت أن الله تعالى قد أشار بكلمة (تراب) في سورة الروم إلى المرحلة البدائية من الخلق الإنساني، بينما في سورة الحجر لم يذكر الله ﷻ المرحلة الأولى الترابية، وإنما اكتفى بذكر المرحلة التالية لها باستخدام كلمة ﴿حمأ مسنون﴾.

هذا، ونجد في موضع آخر فرقًا أكبر حيث يقول الله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكم مِن تُراب ثم مِن نُطْفة﴾(فاطر: ١٢).. فهنا حذَف ذكر الحلقة الثانية أي الصلصالية من الخلق الإنساني، مكتفيًا بذكر الحلقة الأولى الترابية، ومشيرًا إلى حلقة أخرى وهي مرحلة النطفة.

كما نجد في مكان آخر ذكرًا مختلفًا عن ذلك أيضًا حيث يعلن الله ﷻ ﴿هو الذي خَلَقَكم مِن تُراب ثم مِنْ نُطفة ثم مِن عَلَقة ثم يُخرِجُكم طِفلا﴾(غافر:٦٨). فبيّن أن الإنسان لم يُخلَق من النطفة فجأة، وإنما صار من النطفة علقةً، ثم طفلاً.

ولكن في موضع آخر أضاف الله ﷻ إلى الحلقات التالية للنطفة حلقة أخرى إذ قال ﴿يا أيها الناس إنْ كنتم في رَيب من البَعْث فإنّا خَلَقْناكم من تُراب ثم من نُطْفة ثم من عَلَقة ثم من مُضْغة مُخلَّقة وغير مُخلَّقة﴾(الحج: ٦).. أي أن الإنسان لم يُخلَق من العَلَقة مباشرةً، بل تحوّلت العلقة إلى المضغة التي مرّت بمرحلتين أيضًا: المضغة الكاملة وغير الكاملة.

ثم في سورة المؤمنون ذكر الله ﷻ حلقات إضافية أخرى فقال ﴿ولقد خَلَقْنا الإنسانَ من سُلالة من طين۞ ثم جَعَلْناه نُطْفةً في قَرار مَكين۞ ثم خلَقْنا النطفةَ عَلَقةً فخلَقْنا العَلَقةَ مُضْغةً فخَلَقْنا المضغةَ عِظامًا فكسَونا العِظامَ لَحْمًا ثم أَنشَأْناه خَلْقًا آخَرَ فتَبارَكَ اللهُ أحسنُ الخالقين﴾(الآيات: ١٣- ١٥).

فهنا ذكر ثلاث حلقات إضافية تكون بعد المضغة: خلقُ العظام، ثم تغطيتها باللحم، ثم خلقٌ آخر حيث تدبّ الحياة في هذه المواد غير الحية في الظاهر.

ندرك بالتدبر في هذه الآيات أن القرآن الكريم لا يذكر أحيانًا بعض الحلقات من الخلق الإنساني، مما يبطل ظن العامة أن الله صنَع تمثالاً من الطين، ونفخ فيه الروح، فصار إنسانًا. الحق أن القرآن الكريم يعلّمنا أن الخَلق الإنساني اكتمل مرورًا بمراحل مختلفة، وأن كلمة "التراب" لا تقصد إلا الإشارة إلى أن بداية الخلق الإنساني كان من التراب. وهذا أمر ثابت مؤكد، لأن الإنسان ما زال إلى اليوم يستمد غذاءه من التراب نفسه، وإنما يؤخذ غذاء أي شيء مما صُنع منه، وإلا لن يكون غذاءً مناسبًا له. فمثلاً إذا تآكل الحديد فلا يتم تلحيمه إلا بقطعة حديدية، لأن أي شيء آخر لن يقوم مقامه. فبما أن غذاء الإنسان إنما يتركب من عناصر التراب فلا شك أنه خُلق أيضًا من العناصر التي تركَّبَ منها التراب.

والإنسان آخر حلقة متطورة من حلقات خلق هذا الكون، ولم يأت من الخارج. ولستُ هنا بصدد الحديث حول الخلق الإنساني، وإنما المكان المناسب لهذا البحث هو في سورة البقرة أو سورة الأعراف.

وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٨﴾ .

**شرح الكلمات:**

**الجـــانّ**: جَـــنَّ عليه الليلُ يُجُنّ جَنًّا وجُنونًا: ستَره وأظلَمَ عليه. جَنَّ الليلُ: أَظلمَ واختلطت ظُلمتُه. وجَنَّ الجنينُ في الرحم: استتر. والجانُّ: اسمُ فاعل؛ واسمُ جمعٍ للجنّ؛ وحَيّةٌ بيضاءُ كَحْلاءُ العينِ لا تؤذي (الأقرب). والجانّ أبو الجنّ. (التاج).

**السَّموم**: سَمَّ الطعامَ يسُمّ سَمًّا: جعَل فيه السمَّ. وسَمَّ الأمرَ: سبَره ونظَر غَورَه. وسَـــمَّتِ الـــريحُ سُـــمومًا: أحرقتْ. والسَّمومُ: الريح الحارّة. وقال أبو عبيدة: السَّـــموم بالنهار وقد تكون بالليل. وقيل: السَّموم: الحر الشديد النافذ في المسامّ (الأقرب). والسموم عند ابن عباس: نار لا دخان لها (البحر المحيط).

بالنظر إلى المعاني المذكورة أعلاه يعني السَّموم: الشيء الذي ينفذ إلى شيء آخر بطريق دقيق ويؤثر فيه، ومنه سُمي السمّ الـــذي يسري إلى داخل جسم الضحية عبرَ العروق فيقضي عليها بسرعة، وهناك من السموم ما يؤثر حتى بالشمّ والمسّ.

**التفسير**: وكما سجّلنا آنفًا فإن الجن تعني لغةً: كل شيء يغطي الشيءَ الآخر ويستره أو يُظلِم عليه؛ أو كل شيء مظلم أو مستتر عن الأعين.

وتعـــني الجن عرفًا: كائن يظل مستترًا عن أعين البشر إلا أن يظهر بنفسه على أحد. والاعتقاد بوجود كائن كهذا سائد في العالم عمومًا. فهناك من الأمم التي تعتقد بأن الملائكة نفسها تصبح شريرة، لذلك فالملائكة عندهم نوعان: نوع خير وهو عام، ونوع شر وهو الجن والشياطين.

يقـــول الهـــندوس أن هـــناك نوعين من الأرواح التي لا تُرى وهما "غندهروا" و"أبســـرا". والأُولى أرواح بـــرية، والثانية أرواح بحرية؛ وباتصال الاثنتين خرج النسل الإنساني في شكل "ياما" وأُخته "يامي" التي خُلقتْ معه توأَمًا، فكانا أول زوج إنساني.

وتقـــول الفكرة الهندوسية أيضًا أن أرواح "غندهروا" لها أرض منفصلة وخيل خاصـــة، وأن موطنها هو ما وراء نهر السند، وأن مدينة "تيكسلا" أيضًا تقع في الأراضي الغندهروية. (الموسوعة البريطانية، كلمة: غندهروا وأبسرا)

والفكرة نفسها توجد لدى الزرادشتيين مع شيء من الاختلاف، إذ يعتقدون بوجـــود إلهين: إله الخير واسمه "أهرمزد"، وإله الشر واسمه "أهرمن". ولإله الخير جـــندٌ يمكن تسميته بالملائكة بحسب مصطلحنا، كما لإله الشر أيضًا جندٌ يمكن تسميته بالشياطين وفق مصطلحنا. (المرجع السابق كلمة ديمن)

ونجـــد عند اليونان أيضًا فكرة وجود الأرواح بنوعين: أرواح الخير وأرواح الشر، حيث كان أتباع فيثاغورس وأفلاطون يعتقدون بوجود كائنات غير مرئية بعضها خيّرٌ وبعضها شرّير.

وأمـــا الـــيهود فيعـــترفون بوجود كائنات غير مرئية باسم الملائكة والشياطين والأرواح الشـــريرة، وهـــي مذكـــورة في صحف موسى عليه السلام. فقد جاء ذكر الملائكة في حلم يعقوب عليه السلام حيث قيل: "ورأى حلمًا، وإذا سُلّمٌ منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها." (تكوين ٢٨:١٢)

وذُكـــر الشـــيطان في الـــتوراة في قصة آدم عليه السلام، حيث قام الشيطان بإغوائه وحوّاء، فأكلا من الشجرة الممنوعة (تكوين ١: ٣- ٥). علمًا أن التوراة تذكر هنا اسم الحية، ولكنها تعني الشيطان. وإطلاق الحية على الجن أو الأرواح الخبيثة هـــو من التعابير القديمة حيث تسمَّى الحية في اللغة العربية "الجانّ". بينما يعتقد الهندوس واليونان أن بعض الحيات تكون من صنف الجن.

وأمـــا الأرواح الشريرة فقد ذكرتها التوراة كما يلي: "ذبحوا لأوثان* ليست اللـــــهَ.. لآلهةٍ لم يعرِفوها.. أحداثٍ قد جاءت من قريب لم يرهَبْها آباؤكم". (تثنية ٣٢: ١٧)

ولـــيس المراد من الشياطين هنا إلا الأرواح الشريرة، ذلك أن التوراة تعلن بأن هذه الشياطين أحداث.. أي أنها غريبة عن بني إسرائيل، أما الشياطين فكان بنو إسرائيل يعرفونها.

وعـــلاوة على التوراة، فإن الروايات اليهودية أيضًا قد ركّزت على ذكر الجن خاصّـــةً. يقـــول الرِّبِّيّ اليعاذر الشركي بأن الجن يسكنون في المناطق الشمالية. وورد في المـــيغاتي بـــأنهم يطيرون كالملائكة. وورد في التلمود "شبات" أن الجن يتصـــلون بأُناس، وأنهم قادرون على سماع أخبار السماء. (الموســـوعة اليهودية تحت Demonology)

وأما المسيحية فتحتل لديها الأرواح الشريرة مكانة خاصة، لأن الأناجيل تعتبر عملـــيةَ طـــرد يســـوع المسيح للأرواح الشريرة من أهم معجزاته، بل تقول إن الحواريـــين لم يزالوا يطردون الأرواح الشريرة بعد المسيح أيضًا. ويبدو من بيان الأناجـــيل وكأن الجن في تلك الفترة ثاروا بشكل غريب، حيث كانوا يستولون عـــلى أهل كل قرية ومدينة، وفي بعض الأحيان كانوا يستولون على المئات من البشر. (متى ٨: ٦ – ٢٨ ومرقس ١: ٣٢ – ٣٤)

وأمـــا المسلمون فيعتقدون عمومًا أن الأرواح غير المرئية ثلاثة أنواع: الأول: الملائكـــة الـــتي هي أرواح خيّرة كلها، وهناك من يرى أن بعض الملائكة تصبح شـــريرة مـــثل هاروت وماروت، ومثل إبليس الذي كان في أول الأمر ملَكًا. والـــثاني: الشياطين وهي كلها شريرة. والثالث: الجن التي بعضها خير وبعضها شـــر، وأنها تستحوذ على الناس، وأنه باستخدام بعض الحيل يمكن القبض عليها

* ورد في الطبعة الأردية "شياطين" بدلاً من "أوثان". (المترجم)

وتسخيرُها في الأعمال. (معالم التنزيل: سورة البقرة؛ والقرطبي: سورة الجن؛ وتاج العروس)

وفيما يتعلق بظاهر الكلمات فقد ذكر القرآن الكريم بالفعل كلاً من الملائكة والشياطين والجن، وأن بعض الجن خيّر وبعضها شرّير، وذلك كقولهم: ﴿منّا الصالحون ومنّا دون ذلك﴾(الجن:١٢). كما يتضح من القرآن الكريم أنهم يخضعون للبشر ويعملون لهم، حيث ورد عن سيدنا سليمان عليه السلام ﴿ومِنَ الجِنِّ مَن يعمَلُ بين يديه بإذنِ ربِّه﴾(سبأ: ١٣). ويبدو من القرآن أن بعض الجن آمنوا بسيدنا موسى عليه السلام ونبينا الكريم ﷺ (انظر سورة الأحقاف: ٣٠ – ٣٣).

وورد في الأحاديث أيضًا أن وفدًا من الجن جاء لملاقاة النبي ﷺ. (مسلم: كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة)

كما تذكر الأحاديث أن رسول الله ﷺ قال: "لا تستنجوا بالرَّوث ولا بالعظام، فإنه زادُ إخوانكم من الجن". (الترمذي: أبواب الطهارة؛ وأبو داود: كتاب الطهارة)

وقال العلامة السندهي بأن الإمام أبا حنيفة يرى أن ثواب صالح الجنّ هو السلامة من العذاب فحسب، ولكن الإمامَين مالك والبخاري يريان أن ثوابهم السلامة من العذاب مع الفوز بالجَنة. وتحدث ابن العربي عن إجماع المسلمين على أن الجن يأكلون ويشربون وينكحون. (مجمع بحار الأنوار، تحت "جنن")

وعندي أن كلمة (الجِنّ) قد وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف بمدلولات عديدة تدور كلها حول معنى الساتر أو المستتر. فالجن: كل شيء أو روح أو إنسان يستر غيره أو يبقى هو بنفسه خفيًّا عن الأعين عمومًا. ولما كان هذا الفعل يصدر عن أشياء وكائنات كثيرة فلذلك أُطلقت هذه التسمية في المصطلح الإسلامي على أكثر من شيء أو كائن.

لقد ذكر القرآن الكريم الجن بالمواصفات التالية في المواضع الآتية:

أ– لقد خُلق الجنّ من نار السَّموم. (كما ورد في هذه الآية التي نحن بصدد تفسيرها)

ب- لقد خُلقوا من الشعلة ذات اللهب الشديد من النار: ﴿وخَلَقَ الجانَّ مِن مارِجٍ مِن نار﴾(الرحمن:١٦)

ج- قال إبليس لله تعالى: ﴿خلقتَني مِن نار وخلقتَه من طين﴾(الأعراف: ١٣ وص: ٧٧). د- وقال الله تعالى عن إبليس ﴿كان مِن الجن ففسَق عن أمر ربه﴾ (الكهف:٥١).. مما يعني أن كون إبليس ناريَّ الطبع راجع إلى كونه من الجن.

هـ- الجن يملكون قوى شهوانيةً أيضًا حيث قال الله تعالى عن حُور الجَنة: ﴿لم يَطْمِثْهنَّ إنْسٌ قبلهم ولا جانٌّ﴾(سورة الرحمن:٥٧).. لم يَطْمِثْهن: أي لم يمسسهن.

و- قال الله في سورة الرحمن لدى الحديث عن الحساب ﴿فيومئذ لا يُسأَل عن ذنبه إنسٌ ولا جانّ﴾(الآية: ٤٠).. أي يومئذ لن يُسأل الناس ولا الجن عن ذنوبهم، بل سوف يحيطهم دمار شامل من جراء الذنوب.

ز- لقد خُلقوا من أجل عبادة الله ﴿وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدونِ﴾ (الذاريات:٥٧)

ح- يقول المشركون بأن للجن قرابة ونَسَبًا مع الله تعالى: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنّة نَسَبًا﴾(الصافات:١٥٩)

ط- لقد اتخذ المشركون الجنَّ شركاء مع الله سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا لله شُرَكاءَ الْجِنَّ وخَلَقَهم وخَرَقُوا له بَنِينَ وبَنات بغير عِلْمٍ﴾(الأنعام: ١٠١). كذلك ورد عنهم أن الله تعالى سوف يسأل الملائكة يوم القيامة: هل كان المشركون يعبدونكم؟ فيجيبون: ﴿بل كانوا يعبُدون الجنَّ﴾(سبأ: ٤٢)

ي- تقوم طائفة من الجن بإغواء الناس وتضليلهم: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾(الناس: ٦-٧).

وكذلك قال الله تعالى: ﴿وقال الذينَ كفَروا رَبَّنا أَرِنا الّذَينِ أَضَلّانا مِنَ الْجِنِّ والإنسِ نَجعَلْهما تحتَ أقدامِنا ليكُونا مِن الأسفَلين﴾(فُصِّلتْ:٣٠)

ويخبرنا الله أيضًا: ﴿وكذلك جعَلْنا لكلِّ نبيٍّ عدوًّا شياطِينَ الإنسِ والجِنِّ يُوحِي بعضُهم إلى بعضٍ زُخْرُفَ القولِ غُرُورًا﴾(الأنعام:١١٣)

وكذلك قال الله تعالى ﴿يا معشرَ الجنِّ قد استكثَرتم من الإنسِ﴾(الأنعام:١٢٩)

ك- يدخـــل الجنُّ الجحيمَ: ﴿قال ادْخُلُوا في أممٍ قد خَلَتْ مِن قبلكم مِن الجِنِّ والإنسِ في النّار﴾(الأعراف:٣٩)

وقـــال الله تعـــالى في موضع آخر: ﴿أولئك الذين حَقَّ عليهمُ القولُ في أُمَمٍ قد خَلَتْ مِن قبلهم من الجِنِّ والإنسِ إنهم كانوا خاسرين﴾(الأحقاف:١٩).. أي أن الكفار أيضًا سينضمون إلى طوائف الناس والجن التي خلت قبلهم وأُقيمت الحجة عليهم فاستحقوا النار، وكانوا من أهل الخسران.

وقـــال ﷻ أيضًـــا: ﴿وحَقَّ عليهم القولُ في أُمَمٍ قد خَلَتْ مِن قبلهم مِن الجِنِّ والإنسِ إنهم كانُوا خاسرين﴾(فُصّلت:٢٦)

وقـــال الله تعـــالى ﴿ولقد ذَرَأْنا لجهنّمَ كثيرًا مِن الجِنِّ والإنسِ لهم قلوبٌ لا يفقَهون بها ولهم أعيُنٌ لا يُبصِرون بها ولهم آذانٌ لا يسمَعون بها﴾(الأعراف:١٨٠)

ل- يلوذ بعض الناس بالجن: ﴿وأنه كان رجالٌ مِن الإنسِ يعوذُون برجالٍ مِن الجِنِّ فزادوهم رَهَقًا﴾(الجن:٧)

م- الجـــن يعملـــون لبعض الناس: ﴿وحُشِرَ لسليمانَ جُنودُه من الجِنِّ والإنسِ والطَّـــيرِ﴾(النمل:١٨)؛ وكذلك قال الله تعالى: ﴿ومن الجِنِّ مَن يعمَل بين يديه بـــإِذْنِ ربِّه﴾(سبأ:١٣)؛ وقال أيضًا: ﴿قال عِفْريتٌ مِن الجِنِّ أنا آتيك به قبلَ أن تقُومَ مِن مَقامك﴾(النمل:٤٠).. أي آتيك بعرش ملكة سبأ.

ن- لـــيس بوسع الجن أن يصنعوا كتابًا مثل القرآن الكريم: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ على أن يأْتُوا بمِثْلِ هذا القرآنِ لا يأْتُون بمِثْلِه ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظَهيرًا﴾(الإسراء: ٨٩)

س- حضر الجنُّ مجلسَ النبي ﷺ وسمعوا القرآن: ﴿وإذْ صرَفْنا إليك نَفَرًا من الجِنِّ يستمِعون القرآنَ فلمّا حضَروه قالوا أَنْصِتوا فلمّا قُضِيَ وَلَّوا إلى قومهم مُنذِرين﴾

(الأحقاف: ٣٠)، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿قُلْ أُوحِيَ إليَّ أنهُ اسْتمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فقالوا إنا سَمِعْنا قرآنًا عَجَبًا﴾(الجن:٢)

ع- لقــد آمــن الجن بالنبي ﷺ حيث يقول الجن عن القرآن إنه: ﴿يَهدِي إلى الرُّشْدِ فآمَنَّا به ولن نُشرِكَ بربِّنا أَحَدًا﴾(الجن: ٣)

هذا ما سجّله القرآن الكريم عن الجن من صفات وأعمال، وهي – عندي – تؤكد أن تسمية الجن قد أُطلقت في القرآن على عدة أشياء:

**أوّلهــا**: الأرواح الشريرة التي تُعتبر مصدرًا للأفكار الخبيثة مثلما تُعتبر الملائكة مصــدرًا للأفكــار الطيبة، وكأن هذه الأرواح الشريرة أظلال وأعوان للشيطان الذي يحض على الشر. وهذا المعنى مستنبَط من قول الله تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ.. مِنَ الْجِنّةِ والنّاسِ﴾(الناس: ٦،٧).

**وثانيها**: الأشياء التي يتوهم الكفار وجودَها ويعبدونها، مع أن الله تعالى لم ينص عــلى وجودها، وإنما الكفار يتوهمون خطأً وجود هذه الأشياء التي لا حقيقة لها ولا وجــود، ومع ذلك يشرعون في عبادتها. والدليل على ذلك هو قول الله ﷻ ﴿وجعَلوا للّه شُركاءَ الجِنَّ وخَلَقَهم وخرَقُوا لــه بَنِينَ وبَنات بغير علم﴾(الأنعام: ١٠١).. أي أنــه لا علمَ ولا دليلَ عندهم على اتخاذهم الجنَّ شركاءَ لله ﷻ ولا على اعتقادهم أن لله بنينَ وبنات.

وقد يعترض البعض بأن قول الله تعالى: (وخَلَقَهم) يعطي انطباعًا بأنه تعالى قد خلــق بالفعل هذا النوع من الجن الذين يشركهم الكفار بالله ﷻ؟ والجواب أن ضمير الجمع في (وخَلَقَهم) لا يرجع إلى الجن بل إلى المشركين الكفار أنفسهم، والمعنى أنه بالرغم من أن الله تعالى هو الذي خلق هؤلاء الكفار إلا أنهم يزعمون أن الجن شركاء مع الله في ملكوته.

وهناك برهان آخر على أن لا حقيقةَ لهؤلاء الجن الذين يؤمن العامة بوجودهم خطأً ووهمًا، ألا وهو قوله تعالى: ﴿ويومَ يحشُرُهم جميعًا ثم يقولُ لِلملائكةِ أَهؤلاء

إيّـــاكم كانوا يَعبُدونَ ۞ قالوا سبحانَكَ أنتَ وَلِيُّنا مِن دونهم بل كانوا يَعبُدونَ الجِنَّ أَكثَرُهم بهم مؤمنون﴾(سبأ: ٤١-٤٢).

وثمة سؤال يجب الرد عليه: ما دام المشركون لا يعبدون الملائكةَ فلماذا وجّه الله تعالى - وهو عالم الغيب - هذا السؤال إلى الملائكة؟ ثم إذا سلّمنا بأن الناس ما ألّهـــوا الملائكـــة بشـــكل من الأشكال يصبح هذا السؤال ظلمًا وإجحافًا بحق الملائكة!

هذا، ويقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَاستَفتِهم أَلِرَبِّكَ البناتُ ولهمُ البَنون ۞ أم خَلَقْـــنَا الملائكةَ إناثًا وهم شاهدون﴾(الصافات: ١٥٠ - ١٥١)، مما يعني أن المشـــركين كانوا يؤمنون بكون الملائكة بنات لله ﷻ. والبديهي أن بنت الله أيضًا ستُعتبر إلهًا وستُعبَد، مثلما فُعل بعيسى عليه السلام حيث حسبوه ابنًا لله ثم ألّهوه. وبالفعل فقد وجّه الله اللوم إلى المشركين بسبب ذلك فقال: ﴿ويجعَلون لله البناتِ سبحانَه﴾(النحل: ٥٨).. أي أن من أعمالهم الوثنية أنهم جعَلوا لله البناتِ، مع أنه بريء من هذه المنقصة.

إذًا فما دام الناس اعتبروا الملائكةَ بناتٍ لله تعالى، وهو إشراك بالله طبعًا، فكيف ســـاغ لـــلملائكة أن يقولوا إنهم لم يعبدونا بل كانوا يعبدون الجنَّ؟ فالاعتراض وارد عليهم لا على الله ﷻ!

ولكنـــنا لو أمعنّا النظر لوجدنا أن الملائكة أيضًا غير ملومين. ذلك أن الله تعالى إنمـــا سألهم عن ظاهر الأمر، ولكنهم أجابوه عن واقع الأمر. فالمشركون يقولون دائمًـــا بـــأفواههم بـــأن الملائكة بنات الله ولا بد لهم من إرضاء بناته لكسب رضوانه؛ ولكن الواقع أنه لا علم لهم بالملائكة ولا بصفاتها وقدراتها، وإنما سمعوا عنها من كبارهم، وبالتالي تصوروا وجودها في مخيلتهم، واعتبروا هذه الكائناتِ الوهمـــية ملائكـــةً وأنهـــا بنات الله ﷻ، مع أنه لا علاقة لهذه الكائنات الوهمية بالملائكـــة ولا بصفاتها وأعمالها؛ فثبت أن المشركين لم يعبدوا الملائكةَ في حقيقة

الأمـــر، وإنمـــا عبدوا تلك الكائنات الوهمية غير المرئية التي يمكن أن نطلق عليها الجنَّ باللغة العربية.

فـــالحق أن جـــواب الملائكة أيضًا لا يجانب الصواب، بل هو حق وصدق؛ إذ قصـــدوا من قولهم هذا: يا رب، أنّى لهؤلاء المشركين أن يعبدونا، فنحن عبادك وتحت رعايتك؛ إنما كانوا يعبدون كائنات غيرَ مرئية تصوّرتها أوهامُهم المريضة.

ولو كان هناك في الواقع شيء كأولئك الجن الذين يتوهم العامة وجودَهم لبطل قـــول الملائكة بأن هؤلاء لم يعبدونا، بل كانوا يعبدون الجنَّ؛ ذلك أن المشركين قد عبدوا الملائكة فعلاً باعتبارها بنات لله ﷻ، فلا يجوز اعتبار عبادتهم للملائكة عبادةً للجنّ إلا إذا فسّرنا الجنَّ بمعنى الكائنات الوهمية التي لا وجود لها في الواقع.

ولو قيل: كان المشركون يعبدون الجنّ أيضًا، ولذلك فلم تكذب الملائكة حين قالـــت: ﴿بل كانوا يعبدون الجنَّ﴾، فالجواب عليه: مما لا شك فيه أن المشركين كانوا يعبدون أيضًا بعض الكائنات التي كانوا يسمونها الجنَّ، ولكن الله تعالى لم يسأل الملائكةَ هنا عن عبادة المشركين للجن. وإن عبادة المشركين للجن لا تنفي بالضـــرورة عـــبادتَهم لـــلملائكة؛ ذلك أن الوثنيين يعبدون آلاف الأشياء مثل الشـــمس والقمـــر والـــنهر والبشر والملائكة وأيضًا تلك الكائنات الوهمية التي يطلقـــون علـــيها الجنَّ؛ فلا يسوغ للملائكة أن تنفي عبادة المشركين لها بمجرد كـــون المشركين يعبدون الجن، وإنما يجوز لها ذلك القول إذا كان هناك برهان يـــدل على أن تلك العبادة التي تمت باسمها – أي الملائكة – إنما كانت في الواقع لكائنات وهمية. وهذا هو بالضبط ما تقصده الملائكة بقولها هذا.

فـــالواقع أن ﴿الجـــن﴾ تعـــني هنا تلك الكائنات الوهمية التي تصورتها عقول المشركين المريضة، والتي أطلقوا عليها اسم (الملائكة)، وما هي بملائكة.

**وثالـــثها:** شعوب البلاد الشمالية الباردة. فإن كلمة (الجن) تعني الشيء الخفي أيضًـــا، وقد أطلقها القرآن الكريم على شعوب البلدان الباردة أيضًا بحسب عادة

العرب في إطلاقها على غيرهم من الأمم. وكانت لهذه التسمية الأسباب التالية: الأول: قلة اختلاط أهل الشمال بشعوب المناطق الأخرى، لأن أهل الجنوب من البلاد الحارة الآسيوية وغيرها ما كانوا يسافرون عمومًا إلى المناطق الشمالية خوفًا من البرد القارس، كما أن أهل الشمال ما كانوا يخرجون إلى الجنوب الحار خشية الحر الشديد. والثاني: كان أهل الشمال بيض الوجوه حمر الألوان بحكم عيشهم في الطقس البارد وتعاطيهم الخمر بكثرة. مما حدا بأهل الجنوب ليعتبروا أهل الشمال كائنات غريبة، وأطلقوا عليهم الجن والجنيات.

وكانت هذه التسمية عامة في قديم الزمان بحيث كان اليهود يعتقدون أن المناطق الشمالية هي موطن الجن. وقد سبق أن سجلتُ قولاً للرِّبّي اليعاذر الشركي أن الجن يعيشون عمومًا في المناطق الشمالية من العالم.

كما اعتقد الهندوس بأن موطن الجن هو شمال الهند، حيث قالوا أن الأرواح الخفية البرية – واسمها عندهم "غندهروا" – كانت تسكن في الشمال الغربي من بلاد الهند ما وراء نهر السند.. أي في منطقة هزاره وأفغانستان، وأن تيكسلا كانت إحدى مدنها.

كما أن الأساطير الشائعة بين المسلمين أيضًا تحدد موطن الجن في جبال قوقاز وما وراءها.

فثبت أن البِيض الحُمر من أهل الشمال كانوا (الجنَّ) في نظر الآسيويين الأكثرِ حضارةً ومدنية، وذلك بسبب غرابة صورهم واختلاف طقوسهم الدينية ولقلة الاختلاط بهم إذ كانوا شبهَ منعزلين عنهم مدنيًّا بحكم البيئة وبُعد المسافة. ولربما سمى الهنود أهلَ المناطق الشمالية الغربية جنًّا لسبب آخر أيضًا وهو خوفهم من شدة بأسهم، إذ ما زال هؤلاء يشنّون الغارات على الهند على مر التاريخ.

ووفق هذه العادة القديمة أطلق القرآن الكريم – في سورة الرحمن وخلال الحديث عن التقلبات التي ستقع في آخر الزمان – كلمةَ ﴿الجن﴾ على أهل الشمال أي الأوروبيين، وأنبأ أنه سيكون في الدنيا مشرقان ومغربان في الزمن

الأخـــير.. أي بســـب اكتشاف القارة الأمريكية ستُطلَق تسمية "الشرق" على منطقتين وتسمية "الغرب" على منطقتين أُخْرَيَين. كما أنبأ أيضًا عن التقاءِ بحرين وســـيرِ السفن العملاقة ماخرةً على مياه المحيطات – وقد تمّ هذا النبأ من خلال حفـــر قـــناة الســـويس– وعن تقدُّم العلم تقدمًا هائلاً حتى تداعب القومَ فكرةُ تســـخير ملكـــوت السماء، ظانين أنهم على وشك أن يحيطوا بسر هذا الكون؛ ولكـــن الله تعالى سينـــزل العذاب على الناس لغفلتهم عن الدين؛ حيث يطلق عليهم من السماء أضواء حمراء على شكل نيران مهلكة وقنابل مدمرة؛ وفي آخر المطـــاف سيقضي على الكفر والشرك قضاءً نهائيًا، وسيقيم الإسلام مرة أخرى (سورة الرحمن: ١٨ – ٤٠).

وفي هذا السياق قد خاطب الله ﷻ معشرَ الجن والإنس و"الثَّقَلانِ"– علمًا أن "الجـــن" هنالك تعني شعوب المناطق الشمالية أي الأوروبية– وأخبر عن اختلاط الشعوب الأوربية بالشعوب الآسيوية وغيرهما.

واعلم أن كلمة ﴿الجن﴾ تعطي معنى الكثرة* أيضًا، مثلما يمكن أن تأتي كلمة ﴿الإنـــس﴾ بمعنى الخواص* من القوم. ومن معاني الثَّقَل الشيءُ النفيس المصون، وذلـــك بدليل قول رسول الله ﷺ: "إني تاركٌ فيكم الثَقَلين: كتاب الله وعترتي" (مسلم: كتاب الفضائل باب فضائل علي، ومسند أحمد ج ٣ مسند أبي سعيد الخدري ﷺ)؛ فقد أطلق هذه التسمية على أولاده والقرآن الكريم بمعنى النفيس الأفضل.

---

* ورد في "لسان العرب": جنونُ الذباب كثرةُ ترنُّمه، وجُنَّ الذبابُ أي كثُر صوتُه... وأرض مجـــنونة: مُعشـــبةٌ لم يرعها أحد. ويقال... للنبتِ الملتفّ الكثيف الذي قد تأزّرَ بعضه في بعضٍ مجنونٌ. والجَنّة: من الاجتنان وهو السترُ لتكاثف أشجارها.

وورد في "أقـــرب الموارد": المتجنّنة من الأرض: التي كثر عُشْبُها حتى ذهب كلَّ مذهب. وجِنُّ الناسِ: مُعظَمُهم.

أمـــا قـــول المفسّر: "إن كلمة ﴿الإنس﴾ يمكن أن تعني الخواص من القوم"؛ فذلك باعتبار "ال" الداخلة على الإنس استغراقيةً، كقولهم: أنت الرجل، أي اجتمعت فيك كلُّ صفات الرجل. (المترجم)

إذن فقد تكون مفردات ﴿الجن﴾ و﴿الإنس﴾ و﴿الثَّقَلانِ﴾ الواردة في سورة الرحمن إشارةً إلى نظامَي الحكم الديموقراطيِّ والدكتاتوري في العصر الحاضر، وذلك باعتبار ﴿الإنس﴾ بمعنى الدكتاتوريين الذين يحتفظون بالسلطة بأيديهم بحجة أنهم الخواص بين القوم، وباعتبار ﴿الجن﴾ بمعنى أصحاب الأغلبية أي الديموقراطيين؛ حيث تتنافس هاتان الكتلتان أو القوتان في تحقيق نواياهما للاستيلاء على مقادير العالم اليوم، إحداهما باسم الديموقراطية، والأخرى باسم الفاشية أو النازية؛ وكل منهما تدّعي أنها أفضل من الأخرى.

**ورابعها**: الغرباء من أهل الشعوب والبلاد الأجنبية؛ وهم المراد من الجن الذين كانوا في زمن سليمان والذين يقول القرآن إنهم كانوا ﴿يعمَلون له ما يشاءُ من مَحاريبَ وتماثيلَ وجفان كالجَوابِ وقُدورٍ راسِياتٍ﴾(سبأ: ١٤).. والجفان جمع الجَفْنة وهي القصْعة أو البئر الصغيرة، والجوابِ جمع الجابية وهي الحوض، والراسيات من القدور هي التي تبقى في مكانها ولا يحرّكها أحد لضخامتها.

وعندما نرجع إلى التوراة لنعرف من الذي كان يقوم بهذه الأعمال لسليمان عليه السلام نجدها تقول: إن سيدنا سليمان أراد بناء معبد ضخم، فأرسل إلى ملِك "صور" أن ابعَثْ إلي مهندسًا حكيمًا في صناعة الذهب والفضة والنحاس والحديد والأَرجُوان والقِرْمِز والأسْمانجوني، وماهرًا في النقش؛ وأَرسِلْ إليّ خشبَ بلدك مع عبيدك الماهرين في قطعها، وسأعطيهم كذا من الأجر (انظر أخبار الأيام الثاني ٢: ٧ – ١٠).

ثم تخبر التوراة أن الملك الصوري أرسل إلى سليمان مهندسًا ماهرًا في الفنون كلها اسمه حورام أبي، وقال: كما قد أمرتُ رجالي لقطع الخشب حسب حاجتك، فليتفضل سيدي الآن بإرسال أُجرتهم (المرجع السابق الفقرات: ١٣ – ١٦).

ثم ورد في التوراة: "وعدَّ سليمانُ جميعَ الرجال الأجنبيين الذين في أرض إسرائيل بعد العدّ الذي عدّهم إياه داودُ أبوه، فوُجدوا مائةً وثلاثةً وخمسين ألفًا وستَّ

مائة. فجعل منهم سبعين ألفَ حمّالٍ وثمانين ألفَ قطّاعٍ على الجبل وثلاثةَ آلاف وستَّ مائة وكلاءَ لتشغيل الشعب". (المرجع السابق، الفقرتان: ١٧ – ١٨)

وهذا يعني أن هؤلاء الأجانب استُخدموا أيضًا كعمال في بناء المعبد.

أما المهندس الصوري فتخبرنا التوراة أنه بنى قاعة كبيرة للعبادة، وهي التي أشير إليها في القرآن الكريم بكلمة (محاريب). كما نقش صورَ الملائكة على حيطان القاعة الكبيرة. وعمل فيها تمثالين لملَكين، وإليها يشير القرآن بكلمة (تماثيل). (انظر أخبار الأيام الثاني ٣: ٧ و١١ – ١٣)

كما أنه صنع حوضًا كبيرًا من المعدن، بالإضافة إلى عشرة أحواض أخرى، وإليها يشير القرآن بقوله (وجفانٍ كالجواب). ثم تذكر التوراة أنه عمل بحرًا واحدًا (أي حوضًا كبيرًا) واثني عشر ثورًا تحته، وقدورًا ورفوشًا ومناشل. وكل آنيتها عملَها للملكِ سليمانَ حورامُ أبي لبيت الرب من نحاس مَجْلِيّ (انظر المرجع السابق ٤: ٢ و٦و١٥ و١٦). وقد ذُكرت في هذه الفقرة القدور الراسيات والجوابي والتماثيل معًا.

وإذن فكل هذه الأعمال والأشياء قد صنعها لسليمان عليه السلام مهندس أجنبي بمساعدة عمال أجانب أيضًا. فثبت أن (الجن) الوارد ذكرهم في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يعمَلون له ما يشاء من محاريبَ وتماثيلَ وجفانٍ كالجواب وقدورٍ راسياتٍ﴾ إنما المراد منهم الغرباء من أمة أجنبية الذين ما كانوا يكنّون لسيدنا سليمان عليه السلام أيَّ حب، وإنما كانوا يعملون له بسبب ما حباه الله به من رعب وهيبة. ولكن بعد وفاته عليه السلام بفترة زالت هيبة ملكه عن قلوب هؤلاء الغرباء نتيجة أخطاء ارتكبها ابنه الذي خلفه في الحكم، فندموا على حالتهم قائلين: بئس ما صنعنا إذ رضينا بهذا الضيم والذل على أيدي هؤلاء الحكام حيث قمنا لهم بهذه الأعمال الحقيرة من قطع الخشب وحمل الأثقال. لماذا لم نستمر في محاربتهم ما دام حكمهم موشكًا على الزوال بهذه السرعة.

**وخامســـها**: البشر الأوائل الذين عاشوا في قديم الزمن، والذين قام منهم سيدنا آدم عليه السلام، فأرسى الأساس لنظام جديد للحياة. كان البشر قبله غافلين عن أهمية العـــيش معًـــا عـــلى ســـطح الأرض منظَّمين متعاونين، حيث كانوا يعيشون كالحيوانات منفصلين بعضهم عن بعض، مختفين في الكهوف والمغارات وأصول الشجر، إذ كانوا لا يستطيعون السير بحريةٍ على سطح الأرض خوفًا من وحوش الغـــاب؛ فلذلـــك كله سُمُّوا بـــ (الجن)، وهم الذين يطلق عليهم العلماء اليوم "ســـكّان الغـــار" (الموسوعة البريطانية كلمة: الغار). ولما تطور العقل البشري وصار الإنســـان جاهـــزًا لتلقّي نعمة الوحي، اختار الله ﷻ أحدًا منهم ليشرّفَه بوحيه، وسمـــاه "آدم" لأنه أصبح صالحًا للعيش على أديم الأرض، كما أطلق عليه اسم "إنسان"* لأنه صار جديرًا بحب الله ﷻ من جهة، ومن جهة أخرى أصبح أهلاً للشفقة على البشر والتضحية من أجلهم (راجِعْ للمزيد كتابي: السير الروحاني). فـــالذين اتبعوا آدم وخضعوا لنظامه الجديد، فخرجوا من الكهوف واتخذوا لهم المساكن على سطح الأرض، ورضُوا بالعيش خاضعين للقوانين المَدَنية.. فأولئك الذيـــن سُمُّوا بالآدميين. وأما الذين أَبَوا الالتزام بقيود المدَنية والتخلي عن حياة الهمجـــية والوحشـــية، معتبرين حياة الكهوف هي الحرية.. فأولئك الذين أُطلق عليهم (الجن) نظرًا إلى نمط عيشتهم.

فـــ (الجن) اسمٌ لأفراد من تلك المرحلة من مراحل التطور البشري حينما كانوا غـــافلين عن أهمية التمدن، وغير صالحين للعيش تحت النظام. وأما (الآدمي) فهو اسمٌ لأفراد من تلك المرحلة من التطور البشري حينما قررت فئةٌ منهم العيشَ معًا تحـــت نظام قائم على التعاون والالتزام بالقوانين. فصار هذان الاسمان بعد ذلك بمـــثابة صفتين أو مصطلحين، فالذين خرجوا على النظام سُمّوا ذرية الجن، وأما الذيـــن خضعوا للنظام فسُمّوا أولاد آدم. ويُستعمل هذان الاسمان كصفتين بهذا

* وهو أصلاً أُنْسانِ أي مَحبّتانِ (المترجم)

المعـــنى، فأحيانًا يُصلح ذريةُ الجن أنفسَهم فيصيرون أولاد آدم، ويحدث العكس تارةً حيث يفسد أبناء آدم ويخالفون النظام فيُعَدُّون من أبناء الجن.

**وسادسها**: الجن الذين زاروا النبي ﷺ وآمنوا به، وهم وفد من اليهود كما هو ثابت من القرآن الكريم، لأنهم يؤكدون إيمانهم بكتاب موسى عليه السلام (الأحقاف: ٣٠ و٣١). لقـــد سماهم الله ﷻ الجنَّ لأنهم جاءوا من بلد أجنبي، ولأنهم قابلوا النبي ﷺ في الخفاء؛ إذ يتضح من بعض الأحاديث أن وطنهم نصيبين، وأنهم زاروا الـــنبي ﷺ تحـــت ستر الليل (البخاري: المناقب). يبدو أنهم قابلوه ﷺ في الخفاء خوفًا من كفار العرب، ولما استمعوا منه ﷺ القرآن شهدت قلوبهم بصدقه، فلما رجعـــوا إلى قومهم بدؤوا في تبليغ الإسلام. هذه الأمور كلها مسجلة في القرآن الكريم. وإليكم البراهين الدالة على كون هؤلاء الجن من البشر:

**الدليل الأول**: لقاؤهم بالنبي ﷺ سرًّا. لو كان هؤلاء جنًّا في الحقيقة فما الداعي أن يقابلوه في ظلمة الليل؛ لأنهم لو زاروه علنًا في وضح النهار لما كان باستطاعة أحد أن يضرهم شيئًا، بل ما كان لأحد أن يراهم، وذلك وفق ما يُعزى إلى الجن من غرائب الصفات.

**والدليل الثاني**: هو قول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿إِنا أَرسَلْناكَ شاهدًا ومبشِّرًا ونذيـــرًا۝ لِتُؤمِنوا باللّه ورسولِه وتُعزِّروه وتُوقِّرُوه﴾(الفتح: ٩ و١٠). فإذا كان الجـــن قد آمنوا بالرسول الكريم ﷺ فكيف ومتى قاموا بنصرته وتوقيره؟ يقال أن الجـــن يركـــبون عقول أعدائهم ويستحوذون عليهم، وأنهم بنوا لسليمان عليه السلام الحصـــون والقلاع وعملوا لـــه كل عمل بسيط مع أنهم لم يؤمنوا به؛ ولكن ما بال هؤلاء الجن المؤمنين بالرسول الكريم ﷺ الذين قد رأوه هدفًا لصنوف الأذى والعـــذاب على أيدي أشقياء الكفار، فلم يحرّكوا لنصرته ساكنًا، و لم يعاقبوا أبا جهل وغيره من أهل العدوان؟ ثم يقال أن الجن يَجلبون لمن يحبّون أنواعَ الفواكه والـــثمرات في غير موسمها وأوانها، ولكن هؤلاء الجن المؤمنين لم يعملوا قط أي

صـــنيع من هذا القبيل مع رسولهم الكريم ﷺ. أين كان هؤلاء عندما بلغ الجوع والفاقـــة بالـــنبي ﷺ وبأصحابه الكرام أثناء حفر الخندق مبلغًا جعلهم يشدّون الأحجـــار عـــلى بطونهم اتقاء قرصات الجوع؟ (البخاري: كتاب المغازي باب غزوة الخندق). ليتهم أحضروا لـــه ولأصحابه خبز الشعير على الأقل. هل هذا الإهمـــال مـــن الإيمان في شيء؟ كلا، بل هو منتهى الشقاوة. ولكن الجن الذين آمنوا بالرسول ﷺ نجد القرآن الكريم يصفهم أنهم كانوا جدَّ مخلصين في إيمانهم.

فثبت مما أسلفنا أن الجن المذكورين في سورة الجن لا يقدرون على الاستحواذ على أحد ولا على مضايقته، كما لا يملكون لأحد نفعًا؛ بل الحق أن مثل هؤلاء الجن لا يوجدون إلا في عقول هؤلاء المتوهمين. إن القرآن الكريم لا يقول بوجود الجن بهذه الصفات، وإنما يقول بوجود أولئك الجنّ الذين يملكون تلك الصفات الـــتي ذكرتُها أنا. إذًا فالجن الذين آمنوا بالرسول الكريم ﷺ هم وفد من اليهود الذيـــن كان وطنهم بعيدًا عن النبي ﷺ آلاف الأميال، ولا نعرف ما إذا كانت أخباره وصلتهم بعد عودتهم إلى بلادهم أم لا، ولذلك لا نجد أي ذكر لخوضهم عمليًا في الحروب الإسلامية.

**والدلـــيل الثالث**: على كون هؤلاء الجن بشرًا هو أن الله تعالى يعلن في القرآن أنـــه إذا أراد بعث رسول إلى قوم فإنه يختاره منهم أي من بينهم ومن أنفُسهم. يقول ﷻ ﴿ويومَ نبعَثُ في كلِّ أُمّة شهيدًا عليهم من أَنفُسهم وجِئْنا بك شهيدًا على هؤلاء﴾(النحل: ٩٠). فلو كان الجـــن أمـــةً من دون الناس مؤمنةً بالرسل ومكلَّفة بالشرع كالناس.. فمَن مِن الرسل سوف يشهد على إيمان هؤلاء الجن؟ إذ لم يكـــن موســـى عليه السلام من الجن حتى يُسأل عن الجن الذين آمنوا به ويكون شـــهيدًا على إيمانهم؛ كما لم يكن النبي ﷺ من الجن حتى يشهد على إيمانهم؛ بل لـــيس هـــناك من نبي كان من الجن حتى يشهد على إيمانهم، وبالتالي هل سيبقى الجن محرومين من الثواب والعقاب يا تُرى؟

**الدليل الرابع**: يقول الله ﷻ في القرآن الكريم ﴿يا مَعشَرَ الجنِّ والإنسِ ألم يأْتِكم رُسُلٌ منكم يقُصُّون عليكم آياتي ويُنذِرونكم لقاءَ يومِكم هذا﴾(الأنعام: ١٣١). توضح هذه الآية جليًّا أن رسل الجن كانوا من الجن، وأن رسل الإنس كانوا من الإنس. فإذا كان الجن كائنات أخرى فلا يمكن – وفق هذه الآية – أن يكون موسى أو رسولنا الكريم– عليهما السلام – نبيًّا للجن، لأن أنبياءهم كانوا أيضًا جنًّا مثلهم. نعم إذا كان المراد من الجن فئةً من البشر أنفسِهم فكان بإمكانهم حتمًا أن يؤمنوا بموسى أو بمحمد – عليهما السلام – نبيًّا لهم.

**الدليل الخامس**: يصف الله ﷻ الجحيم قائلاً: ﴿فاتقُوا النارَ التي وَقودُها الناسُ والحجارة أُعِدّتْ للكافرين﴾(البقرة: ٢٥). مما يؤكد أنه سيكون في النار الناس أو الأحجار وما شاكلها مما يمكن أن ينفع كحطب لجهنم. فلو كان الجن كائنًا مكلَّفًا كالإنسان للزم أن يقول الله تعالى "فاتّقُوا النارَ التي وَقودها الناسُ والجن والحجارة". فثبت أن القرآن حينما قال إن الجن سوف يدخلون النار فإنما قصد به الجن من البشر، لا أي كائن آخر.

**الدليل السادس**: ورد في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قام من الليل يصلي، فقال لرجال يحرسونه: "لقد أُعطيتُ الليلةَ خمسًا ما أُعطِيَهن أحد قبلي..... أما أنا فأُرسلتُ إلى الناس كلهم عامةً، وكان مَن قبلي إنما يرسَل إلى قومه." (مسند أحمد ج ٢، أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما)

علمًا أن هذه الرواية تذكر بعد ذلك أربع خصوصيات أخرى، والحق أن الرسول ﷺ قد أُخبر بهذه الخصوصيات الخمس مجموعةً في تلك الليلة، وإن كان قد خُص بها منذ بداية البعثة، وكانت الخصوصية المذكورة أعلاه أيضًا مما أُعطِيَه من أول يوم من البعثة الشريفة.

فكيف يمكن لأحد أن يقول بعد قراءة هذا الحديث بأن الجن الذين آمنوا بالرسول ﷺ كانوا كائنات غير البشر؟ فإن القرآن الكريم ينص على كون هؤلاء

الجـــن مؤمـــنين بموســـى، فكيف جاز لهم أن يؤمنوا به إذا لم يكونوا من الأمة الإسرائيلية التي بُعث موسى إليها فقط دون غيرها.

وقـــد يعـــترض هنا أحد محتجًّا بقوله تعالى: ﴿إنّا أَرسَلْنا إليكم رسولا شاهدًا عليكم كما أرسَلْنا إلى فرعونَ رسولا﴾(المزّمِّل: ١٦) فيقول: كيف يصح قولك هـــذا مع أننا نجد موسى، الذي كان بُعث إلى بني إسرائيل فقط، يدعو فرعونَ أيضًا إلى الإيمان، مع أن فرعون ما كان من الإسرائيليين؟

والجواب أن كلمة الأمة تعني قبيلة معينة حينًا، وأهلَ بلد حينًا آخر. فمثلاً كان يعـــيش في الهند قبائل عديدة، وكان النبي المبعوث فيهم يرسَل إلى كل الشعب الهندي، وليس إلى قبيلة معينة منه فقط مثل البراهمة أو الراجبوت وغيرهما. ذلك أن القبائل القاطنة في منطقة واحدة تُعتبر قومًا واحدًا دونما حرج. ولما كان سيدنا موســـى عليه السلام مرتبطًا بفرعون وقومه بحكم السلطة والسياسة والقانون والمدَنية، فلذلـــك اعتُـــبر المصريون والإسرائيليون كلهم أمةً واحدة فيما يتعلق بالرسالة الموســـوية. ولكـــن ما كان موسى مرتبطًا بالجن حكمًا أو سياسة أو قانونًا أو مدَنيةً، حتى يؤمَر الجنُّ بالإيمان به.

قد يقال هنا: لا شك أن موسى قد أُرسل إلى بني إسرائيل والمصريين العائشين معهـــم، ولكـــن الجن آمنوا بموسى برغبتهم الذاتية. ولكن هذا القول أيضًا غير ســـليم، ذلك أن الإنجيل قد سجل حادثًا للمسيح عليه السلام يكشف لنا أنه لم يسمح للأمم الأخرى حتى بالانضمام إلى جماعته، بل لما طلب منه شخص من قوم آخر أن ينشـــر دعوتـــه في قومه رفض المسيح طلبه قائلا: "ليس حسنًا أن يؤخَذ خبز البنين ويُطرَح للكلاب." (متى ١٥: ٢٦)

فقد ثبت أنه ما كان لهؤلاء الجن أن يؤمنوا بموسى برغبتهم الذاتية، إذ لو كانوا مكلَّفـــين بالشرع أصلاً لكان من واجبهم – وفق نصوص القرآن – أن يؤمنوا فقط بمن يُبعث من أنفسهم، لا أن يؤمنوا بموسى الذي لم يكن من الجن.

وبالاختصـــار فإن الآيات والأحاديث المذكورة أعلاه تؤكد أنه لو كان الجن مكلَّفـــين بالشـــرع لكان لزامًا – ولو قبل النبي ﷺ على الأقل – أن يُبعَث لهم رسولٌ من أنفسهم، بل أكثر من رسول مستقل لكل قبيلة من قبائلهم المختلفة.

**الدلـــيل السابع**: يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يعلن للعالم: ﴿يا أيها الناس إني رســـول الله إليكم جميعًا﴾(الأعراف: ١٥٩). فلم يذكر الله ﷻ هنا الجنَّ ضمن مَـــن كانـــت الرسالة المحمدية موجَّهةً إليهم. فلو كان الجن كائنات أخرى من واجـــبها أو من حقها أن تصدق الرسالة المحمدية لكانت العبارة كالآتي: (يا أيها الناس والجن إني رسول الله إليكم جميعًا)، ولكن القرآن الكريم لم يسجل إعلانًا إلهـــيًّا كهذا في أي مكان. فثبت أن الجن الذين آمنوا بالرسول ﷺ إنما كانوا – بحسب تصريح القرآن – من البشر، ولأجل ذلك كُلّفوا بتصديقه ﷺ.

**الدليل الثامن**: هناك آية أكثر وضوحًا هي ﴿وما أرسَلْناكَ إلا كافّةً لِلناسِ﴾(سبأ: ٢٩). علمًا أن كلمة "كافّة" مشتقةٌ من الكفّ الذي معناه الجمعُ والمنع، وهكذا تعـــني هذه الآية: إنما بعثناك لكي تجمع الناس ولا تترك أيًّا من البشر خارجًا عن نطاق دعوتك. فالآية صريحة في إعلامها أن محمدًا ﷺ إنما بُعث لجمع البشر فقط، فكيف إذنْ يصحّ زعم البعض أن هناك كائنات أخرى مكلَّفة بتصديقه ﷺ. الحق أن لا أحـــد من البشر خارج عن دائرة دعوته ﷺ، كما ليس هناك سوى البشر كائن هو مكلّف بالإيمان به ﷺ. مما يؤكد أن الجن المؤمنين المذكورين في القرآن الكريم ما كانوا إلا من البشر.

وأعـــود لأوجز الحديث هنا مرة أخرى فأقول: إن كلمة "الجن" قد وردت في القرآن الكريم في عدة معانٍ منها:

١- كل كائن خفي غير مرئي لأعيننا من قبيل الشيطان. هذه الكائنات الخفية تحض البشر على الشر كما تحث الملائكةُ على الخير، ولكن تأثير الملائكة يكون واسعًا، بينما يكون تأثير هذه الكائنات ضيق النطاق.. بمعنى أنها إنما تتغلب فقط

عـــلى أولئك البشر الذين يميلون برغبتهم إلى الأفكار الشريرة. وقد تسمَّى هذه الكائنات شياطين أيضًا.

٢- ســـكان الكهوف..أي أولئك البشر الذين عاشوا ما قبل صلاحية الإنسان لـــتلقي الوحي، والذين كانوا يقيمون تحت الأرض في المغارات والكهوف، وما كانوا ملتزمين بأي نظام أو قانون. ولكن القرآن الكريم توسّع في هذا الاستخدام فاخترع اصطلاحًا جديدًا، حيث أطلق كلمة "الإنسان" على من يميل إلى الطاعة والانقـــياد من البشر، وكلمةَ "الجن" على البشر الذين طبعائهم نارية ثائرة، فلا يخضعون للنظام والقانون.

٣- سكان المناطق الشمالية الغربية مثل أوروبا وغيرها الذين كانوا شبه منعزلين عن أهل الجنوب من آسيا وغيرها، وكان من المقدر لهم أن يحققوا ازدهارًا ماديًّا مدهشًا، وأن يتمردوا على الدين بشكل محير. وقد ذكرتهم سورةُ "الرحمن".

٤- أجانـــب من أهل الشعوب والأديان الأخرى الذين اعتبرهم البعض- مثل الهندوس واليهود - كائنات غريبة. وبحسب هذا الاعتقاد السائد لدى هؤلاء قد أطلـــق عليهم القرآنُ هذه التسمية، كمثل الجن الذين عملوا لسليمان عليه السلام، أو الذين آمنوا بالنبي ﷺ.

وعـــندي أن الجن الذين ورد عنهم أنهم يدخلون النار فإنهم أصحاب الطبائع الـــنارية مـــن البشر أنفسهم الذين لا يخضعون للنظام والقانون، ولا يقبلون أي شرع أو دين. وأما الناس الذين ورد عنهم أنهم يدخلون النار فإنهم أولئك الكفار الذين يكونون منتمين إلى دين من الأديان. أو المراد من "الجن" هنا سكانُ المناطق الشـــمالية الغربـــية، وأما "الإنس" فهم أهل الجنوب والشرق، مثلما كان هؤلاء معروفين بهذه الأسماء.

وأمـــا قولـــه تعالى في الآية التي نحن بصدد تفسيرها ﴿والجانَّ خلقناه مِن قبلُ مِن نارِ السَّمومِ﴾ فيعني أن أولئك البشر - الذين نسمّيهم هنا الجن - كانوا ذوي طـــبائع ناريـــة.. بمعنى أنهم كانوا يستشيطون غضبًا بسرعة، ولا يطيعون النظام

بسهولة. وبالفعل هكذا كانت حالة البشر قبل آدم عليه السلام. لقد كان آدم أولَّ إنسان حقق الكمال في الأخلاق والمدَنية، ولذلك صار أولَّ إنسان تلقى الوحي الذي هو ذو صلة وثيقة بالأخلاق والحضارة. فالذين تبعوا هذا الداعي إلى النظام والمدَنية بحيث قضوا على أهوائهم النفسانية، ورسموا نقوشَ طاعة الله على ألواح قلوبهم، فسُمّوا أصحاب الطبائع الطينية، لأن الطين يقبل التشكل والنقش. وأما الذين آثروا الحرية الفردية على طاعة النظام والقانون فسُمّوا أصحاب الطبائع النارية.. بمعنى أنهم تمردوا مثل شعلة النار التي تأبى أن يسيطر عليها أحد. وبما أنهم كانوا يبيتون مختفين تحت سطح الأرض فلذلك سُمّوا بالجن أيضًا.

ولو قيل: كيف تقول إن الجن هنا يعني أصحاب الطبائع النارية من البشر مع أن الله يعلن هنا صراحة: ﴿والجانَّ خلقناه مِن قبلُ مِن نارِ السَّمومِ﴾.. أي أن الجن قد خُلقوا من النار؟ فالجواب أن الله عز وجل يعلن أيضًا في موضع آخر: ﴿خُلق الإنسان من عَجَلٍ﴾(الأنبياء: ٣٨)، ومعناه حرفيًّا: أنه خُلِقَ مِن العجلة. وقد قال أصحاب البصيرة النافذة من المفسرين: معناه أن الإنسان مطبوع على العجلة، أي يتعجل في طلب كثير من الأشياء التي تضره، كما قال الله تعالى: ﴿وكان الإنسان عَجولا﴾. وتقول العرب للذي يكثُر منه الشيءُ: خُلِقْتَ منه، وكما تقول: خُلِقتَ مِن تَعَبٍ، وخُلِقْتَ مِن غَضَبٍ، تريد المبالغة في وصفه بذلك. (فتح البيان، والبغوي)

وكذلك يقول الله تعالى في موضع آخر: ﴿اللهُ الذي خلَقكم مِن ضعفٍ﴾ (الروم: ٥٥).. أي أن الإنسان عند ولادته يكون ضعيفًا ويحتاج إلى مساعدة الآخرين. ولا أحد يفسر كلمة "الضعف" هنا بأنها مادة كالتراب أو الخشب يُخلق منها الإنسان!

وقبل إنهاء تعليقي هذا أود أن أضيف أن كثيرًا من الأسلاف يتفقون معي – على الأقل – في أنه لا وجود للجن الذين يمكن أن يقابلوا الناس ويركبوهم ويعطّلوا عقولهم ويسخّروهم في بعض الأعمال، كما تزعم العامة. فقد كتب

العلامـــة أبو حيان: "قال الجبائي: هذه الآية تدل على بطلان قول من زعم أن الشـــيطان والجـــن يمكنهم صرع الناس وإزالة عقولهم، كما تقول العامة، وربما نســـبوا ذلـــك إلى السحرة. قال: وذلك خلاف ما نص الله تعالى عليه." (البحر المحيط، سورة الحِجر، قوله تعالى: إلا عبادَك منهم المخلَصين).

ولـــو قيل: إن بعضا من الأسلاف قد ذكروا رؤية الجن، فالجواب أن ما رأوه كـــان من قبيل الكشوف التي تعني رؤية بعض المشاهد في عالم المجاز والتمثيل، وهـــذا لـــيس بأمر مستبعَد. ولكن لما حكى هؤلاء كشوفَهم للناس اعتبر العامة مـــنهم هذه الكائنات التمثيلية كائنات حقيقية، مغترّين بما كان شائعًا بينهم من عقائد خاطئة عن الجن، وكذلك بسبب ورود هذه الكلمة في القرآن الكريم.

وأما عن خبرتي الشخصية فقد تلقيت في مختلف الأوقات كثيرًا من الرسائل التي قـــال لي أصحابها إن الجن يقتحمون بيوتهم ويعيثون فيها الفساد. وفي كل مرة اقترحتُ على صاحب الرسالة أنني مستعد أن آتي إليك لتحري الأحوال بنفسي وعلى مسئوليتي ونفقتي، ولكنني استلمتُ في كل مرة جوابًا واحدًا بأن الجن قد توقفـــوا الآن عـــن مداهمة البيت، أو أنهم قد هربوا من البيت ببركة رسالتِك أو رسولِك الذي أتى بها.

وعـــندي أن ما رأوه كان من قبيل أعراض بعض الأمراض العصبية التي كانوا مصابين بها، وبما أنهم اطمأنوا بمجيء رسالتي أو رسولي فلذلك زالت عنهم الحالة العصبية الطارئة.

وبعد قولي هذا لو مر أحد باختبار مع هذا الكائن فليخبرني فإني لا أزال جاهزًا لتحري الحقيقة على نفقتي الخاصة.

غير أن ما فهمتُ بناء على كثير من الأدلة القرآنية هو أن عقيدة عامة الناس عن الجن التي تقول بأنهم يتصلون بالبشر ويعملون لهم المستحيل فهي ليست إلا ضربًا مـــن الوهم، أو من قبيل شعوذة بعض السحرة، التي لا يستطيع العامة أن يعرفوا

مصدرها، فيعزونها إلى الجن. إنني ملمٌّ بهذا العلم وأعرف الكثير من الحيل التي يلجأ إليها هؤلاء المشعوذون.

غير أنني لا أنكر أن الإنسان ربما كان في البداية كائنًا ناريًّا، ثم بتأثير التقلبات الجوية والزمنية تطوَّرَ إلى كائن طيني، بمعنى أنه بعد هذا التحول كان أساس خَلقه على ما تُنتجه الأرض؛ وكان آدم سيدًا لأوائل هذه الكائنات. وهذا ليس بأمر مستبعَد، بل إن علم الجيولوجيا أيضًا يؤكد أن الأرض في بدايتها كانت كرة نارية ملتهبة، وأن قشرتها الترابية خُلقت فيما بعد. فلا يُستبعد أن تكون بداية خلق الإنسان من النار قبل المرحلة الترابية من خلقه. ولكن كل هذه الأمور لا تخرج عن حد التخمين، ويستحيل الجزم بها، لذلك لا أكتب عنها أكثر. وهناك جزء من هذا الموضوع ذُكر في قصة آدم مع إبليس في تفسير سورة البقرة، فليرجع إليه من أراد.

**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾**

**شرح الكلمات:**

**سوّيتُه:** سوّى الشيءَ: جعله سَويًّا. وغلامٌ سويٌّ: أي مستوي الأخلاق.. لا داء به ولا عيب. ومنه الدعاء: رَزَقَك الله ولدًا سويًّا (الأقرب).

**نفختُ:** نفَخ بفمه ينفُخ نَفْخًا ونفيخًا: أخرجَ منه الريحَ. يقال نفَخ في النار ونفَخها. ونَفَخَ شِدْقَيْه: تكبَّرَ. ونفَخ الشيطان في أنفه: تطاوَلَ إلى ما ليس له (الأقرب).

**روحي**: الروحُ: ما به حياةُ الأنفس؛ الوحيُ؛ جبرائيلُ؛ النفخُ؛ أمرُ النبوة؛ حكمُ الله وأمره؛ وتُطلَق الأرواحُ على ما يقابل الأجسادَ؛ وعند أصحاب الكيمياء على المياه المقطَّرة من الأدوية (الأقرب).

وهـــذا القول الأخير خطأٌ وقع فيه صاحبُ قاموس "الأقرب" لجهله بهذا الفن، فإن الكيمائيين لا يطلقون الروح على هذا الشيء، وإنما على ما يطفو على المياه المقطرة من الأدوية التي فيها زيت، أو على ما يجمعونه من ماء مركز معطَّر بعد تقطير هذه المياه مرارًا وتكرارًا.

وقـــد ذكـــر صاحب "الأقرب" أن الروح يعني جبريل أيضًا، ولكنه ليس معنى حقيقيًّا، بل هو مجاز؛ فإن العرب يطلقون أحيانًا اسمَ المسبب على السبب نفسه، وهذا ما فعله القرآن الكريم أيضًا إذ سمّى جبريل بهذا الاسم المجازي، لأنه ينـــزل بالـــروح أي الوحي الإلهي. الواقع أن الروح في الحقيقة ما ينال به الشيءُ حياةً ممـــيزة لـــه عن غيره. فالروح هو ما يميّز الحيوانَ من الأشياء الأخرى، أو ما يميز الإنســـانَ عن الحيوانات، أو ما يجعل الإنسانَ ربانيًّا. وإذن فالوحي أيضًا روح، لأنه يهب للإنسان حياة جديدة.

**ســـاجدين**: السجود: التذلل. وقوله ﴿اسجدوا لآدمَ﴾ قيل: أُمروا بالتذلل لـــه والقـــيام بمصـــالحه ومصالح أولاده. وقوله: ﴿ادخُلوا البابَ سُجَّدًا﴾ أي متذللين منقادين (الأقرب).

**التفســـير**: يضرب الله تعالى هنا مثالَ أولِ كائنٍ متكامل خُلق عند بداية النوع الإنســـاني، حيـــث يخبرنا ﷻ أن هذا الكائن هو الآخر تلقى الوحيَ، وسُخِّرت الملائكة لإنجاز دعوته. مما يدل على أن ظاهرة الوحي وحمايته ليست بأمر جديد، بل ما زالت جارية منذ البداية.

علمًا أن الله تعالى قد أمر – في الظاهر – الملائكةَ بالسجود أي بالانقياد لآدم، ولكن هذا الأمر كان في الحقيقة موجَّهًا إلى كل مخلوق؛ ذلك أن الملائكة هي العلة الأولى لكل الأسباب، فلما أمرهم الله تعالى فكأنما أمر كلَّ من في الكون.

وكان هذا الأمر بمثابة إعلان رباني بأن آدم قد أُعطيَ السيادةَ على سائر المخلوقات الأخرى في الكون، فينبغي على الملائكة – وهي العلة الأولى في الكون – أن يرتبوا النتائج الطبيعية على أعمال الإنسان. فكأن الملائكة قد جُعلوا تابعين لجميع الناس فيما يخص ترتيب نتائج أعمالهم الحسنة أو السيئة وفق النواميس الطبيعية. وهذا قانون عامّ يشمل سائر البشر، ولكن هناك قانون آخر خاص يتبعه الملائكة بصدد البشر، وهو أن الله ﷻ ينفّذ في زمن الأنبياء قدره الخاص، فمن واجب الملائكة أن يؤيدوا نبيه الذي يكون آدمَ عصرِه، ويحبطوا مكائد أعداءه.

فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾.

**شرح الكلمات:**

**إبليس:** أَبْلَسَ من رحمة الله: يَئِسَ. أبلس في أمره: تحيَّرَ. وإبليس قيل هو من أَبْلَسَ بمعنى يئس وتحيَّر، جمعُه أباليسُ وأبالسةٌ (الأقرب).

**التفسير:** ثمة سؤال يجب الرد عليه: كان الأمر الإلهي بالسجود لآدم موجَّهًا إلى الملائكة فقط، فلماذا وجه الله ﷻ اللوم إلى إبليسَ حين لم يسجد لآدم؟

والجواب أن الأمر الذي يوجَّه إلى مدير مكتب مثلاً يكون في الواقع موجَّهًا إلى الموظفين التابعين له أيضًا. وعلى سبيل المثال إذا أمر المِلكُ قائدَ الجيش بالهجوم

على منطقة ما فالأحرى بجنوده أن ينفّذوا الأمر الملكي، ولا يجوز لأي جندي أن يمتنع عن الهجوم بحجة أن الملك لم يأمره بذلك. فلما أمر الله ﷻ الملائكة بترتيب النتائج على أعمال الإنسان أو بتأييد آدم في دعوته اعتُبر الأمر الإلهي موجَّهًا – بشكل تلقائي – إلى الكائنات التي كانت أدنى من الملائكة.

ولقد أوضح الله ﷻ هذا الأمر أكثر في آية أخرى حيث قال لإبليس صراحةً: ﴿ما منَعك ألا تسجدَ إذ أمرتُك﴾(الأعراف: ١٣). مما يكشف أن الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم كان يشمل إبليس أيضًا، لأنه هو الآخر كان تابعًا للملائكة مثل الكائنات الأخرى.

لقد سبق أن شرحتُ قصة آدم وإبليس في مكانها الأصلي في سورة البقرة، فليرجع إليها من شاء، غير أني أود ذكر أمر من الأمور باختصار.

ليكنْ معلومًا أنه ليس ضروريًّا أن يكون الحوار بين الله ﷻ وبين إبليس قد وقع هكذا فعلاً، لأن من أساليب لغة الدين وبالأخص اللغة العربية ذكْرَ بعض الحقائق على شكل حوار أحيانًا، وإن لم يكن قد وقع أي حوار أصلاً. وعلى سبيل المثال تقول العرب: "امتلأَ الحوضُ وقال: قَطْني".. أي حسبي وكفاني؛ ولا يعني ذلك أن الحوض تكلم فعلاً، وإنما تكلم بلسان حاله (انظر لسان العرب).

هذا، وهناك كلمات أخرى خاصة بذوي الأرواح والإرادة، ولكنها تُستخدم للجماد أيضًا على سبيل المجاز؛ فمثلاً ورد في القرآن في سياق الحديث عن سفر موسى عليه السلام مع فتاه إلى قرية من القرى: ﴿فوَجَدَا فيها جدارًا يريد أن ينقضَّ﴾(الكهف:٧٨). مع أن الجدار لا عقل له ولا إرادة. وقال أبو منصور الثعالبي الإمام الشهير في اللغة عن الأديب المشهور أبي فراس – الذي كان يُنكر صدق الإسلام وكان شغله الشاغل الطعن في القرآن الكريم – أنه قال لي* يومًا ونحن في دار الوزير العباسي أبي العباس أحمد بن الحسين ننتظر مجيئه: هل تعرف العربَ تنسب فعلَ الإرادة إلى الجماد؟ فقلت: إن العرب تعبّر عن الجمادات بقولٍ، ولا قولَ لها في الحقيقة، كما قال الشاعر:

* ورد في المرجع الأصلي أن الحادث إنما وقع مع أبي بكر الصولي الذي نقل عنه الثعالبي هذا الكلام. (المترجم)

"امتلأ الحوض فقال قَطْني"، وليس ثمة قولٌ. فردّ عليَّ: لم أسألك عن نسبة القول إلى غير عاقل، وإنما أسألك عن نسبة الإرادة إلى شيء غير عاقل. وكان في الواقع يقصد الطعن في قول الله تعالى ﴿فوَجَدَا فيها جدارًا يريد أن ينقضّ﴾. فأيدني الله ﷻ بأن تذكرتُ قولَ الراعي:

في مَهْـــمَه فُـــلقَتْ به هاماتُها فَلْقَ الفـــئوس إذا أردنَ نُصولا

أي في فـــلاة كُسرتْ فيها رؤوس تلك القبيلة، كما تَكسر الفؤوسُ الخشبَ إذا أرادت كسرَها.

ويضـــيف الإمـــام الثعالبي وقال: فكأنني ألقمتُه الحجرَ، وسُرّ مَن كان صحيحَ النية، وسوَّد اللهُ وجهَ أبي فراس. (فقه اللغة للثعالبي، القسم الثاني، الفصل السادس والخمسون: فصلٌ في إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل)

ويـــنقل الـــثعالبي عن أبي محمد اليزيدي قوله: كنتُ والكسائي عند العباس بن الحسن العلوي، فجاء غلام له وقال: يا مولاي، كنتُ عند فلان فإذا هو يريد أن يمـــوت. فضحكنا. فقال العباس بن الحسن: مِمَّ ضحكتما؟ قلنا: من قوله: "يريد أن يموت". وهل يريد الإنسان أن يموت؟ فقال العباس: قد قال الله تعالى ﴿فوجَدَا فيها جدارًا يريد أن ينقضّ فأقامَه﴾، وإنما هذا بمعنى يكاد. ففهِمْنا المراد. (المرجع السابق)

وإذًا فتقدير الأمر والشيء بظاهر حاله أيضًا يسمى قولاً منه وإرادةً. والحق أن حـــادث آدم وإبلـــيس أيضًـــا كان من هذا القبيل، فقد عبّر الله تعالى عن حال الملائكة على شكل حوار منهم، مع أنهم لم يقولوا شيئًا بلسانهم. وقد اختار الله تعالى هذا الأسلوب لأن هذا الحادث كان في الزمن القديم، وكانت عادة الناس في القديم أن يُكثروا في حديثهم من التشبيه والمجاز لاعتقادهم أن لغة التمثيل أشد تأثيرًا. ونجد شتى الكتب السماوية السابقة أيضًا تسرد قصة آدم على هذا المنوال نفســـه، واتـــبع القرآنُ الكريم الأسلوبَ العربي القديم نفسه في بيان هذا الحادث ليستوعبه الناس بسهولة.

وقـــد كثر التشبيه والاستعارة في الأسفار القديمة حتى إنها بينت الصفات الإلهية أيضًا بلغة تمثيلية. فمثلاً نجد فيها التعابير التالية: إن الله يجيد الرماية. إنه يصل إلى كـــل مكـــان عـــلى عربة سريعة. إنه يتندم على عقاب العباد. إن لـــه أيادي وأرجلاً. (المزامير ١٦: ١١، و١٨: ٩، و١٨: ١٤، و٨:٢١، و٧:٦٤، و١٧:٧٧، وزكريا ٩: ١٤، وتكويـــن ٨: ٢١، ٩: ١٠ -١١). ولا جـــرم أن هذا الكلام كله من عند الله تعـــالى، ولكنه ليس حقيقة، بل هو مجاز؛ ذلك أن الإنسان إذ ذاك كان في بداية تطـــوره وغـــير ناضج عقليًّا، فاستخدم الله في تلك الكتب هذا الكلام المجازي ليسهل على الإنسان فهمُ تلك الأمور.

غـــير أن القرآن الكريم هو الوحيد بين سائر الكتب الذي غيّر هذا الأسلوب، فمـــع أنه استخدم المجاز والاستعارة والتمثيل بدون شك، ولكن في أماكن قليلة جـــدًّا، وبهدف تغيير الطعم فحسب، وإلا فإنه قد بيّن القضايا الحيوية كلها بلغة صريحة واضحة تمامًا. وإذا ذكر في مكان أمرًا من الأمور بلغة التمثيل فقد تحدث عنه في مكان آخر بكلام واضح جلي، صرفًا لأي لبس أو غموض.

وقصارى القول إن الحوار الذي سجّله القرآن الكريم في حادث آدم ليس حوارًا حقيقيًّا، وإنما هو من قبيل لسان الحال.

والكتـــب الهندوسية أيضًا تذكر قصة الصراع بين قُوى الخير والشر على شكل حوار، وقصة "هريش تشندرا" في التراث الهندوسي خير مثال على ذلك.

والـــتوراة أيضًا سردت قصة الصراع بين قوى الخير والشر على شكل حوار، حيـــث ذكـــرت أن الملائكة والشيطان مثلوا أمام الرب ذات يوم، وتحدثوا عن صـــلاح أيوب، فقال الشيطان لله تعالى: هل مجّانًا يتقي أيوبُ الربَّ؟ إنه يتقيك لأنـــك قد أعطيتَه كل شيء. فسمح الله له باختبار أيوب. (انظُرْ أيوب ١: ٦ – ١٣)

وكان هذا الكلام المجازي أحد الموانع التي حالت دون إيمان أهل الكتاب بنبينا ﷺ، ذلـــك أن الوحي النازل عليه قد بيّن هذه الأمور الروحانية بعبارات صريحة

واضـــحة مكتفيًا بشيء يسير من هذه التمثيلات، في حين كان أهل الكتاب قد أخطـــئوا فهـــم مـــا ورد في كتبهم من استعارات ومجازات حول صفات الله، والملائكـــة، والوحي والنبوة، واعتبروها حقيقة، فلما ذكرها القرآن بلغة واضحة صـــريحة، أُخذوا بالدهشة والحيرة، وظنّوا أن ما يذكره القرآن باطل ومخالف لما جاء في التوراة.

عـــلمًا أنـــه بالرغم من أن القرآن الكريم قد ذكر قصةَ آدم وإبليس على شكل الحوار والتمثيل، إلا أنه قد أزال الكثير من سوء الفهم الناتج عن مضامين الكتب الســـابقة، أو الذي يمكن أن يحصل جراء اللغة المجازية. وعلى سبيل المثال تذكر التوراة أن آدم أُسكِنَ في الجنة الحقيقية (تكوين ٢: ١٥)، وتزعم التوراة كذلك أن آدم ارتكـــب الإثم خلال إقامته في تلك الجنة! (تكوين ٣: ١٧)، مع أن من صفات الجنة الحقيقية أنه من المستحيل أن يرتكب أحد فيها الإثم.

وأمـــا القرآن الكريم فقد سمّى أحيانًا المكانَ الذي أُسكن فيه آدم بالجنة، ولكنه صرح أيضًا في موضع آخر أن هذه التسمية مجازية حيث قال الله للملائكة ﴿إني جاعلٌ في الأرض خليفةً﴾(البقرة:٣١). وهذا يعني أن آدم أُسكِنَ في هذه الأرض لا في الجنة الحقيقية.

هذا، وهناك عديد من الأمور الأخرى المتعلقة بقصة آدم التي قد ذكرها القرآن على سبيل الاستعارة والمجاز، ولكنه قام بشرح هذه الاستعارات في تلك الآيات نفسها أو في مواضع أخرى.

الحـــق أن الإنسان ما دام قد مُنح القدرة على عمل الخير والشر كليهما فكان لزامًا أن يُخلَق أيضًا ما يحفزه عليهما، ولأجل ذلك خلق الله ﷻ هذين الحافزين أي الملائكـــة والشيطان حتى قبل خلق الإنسان. فأمر الملائكة أن تحفز الإنسان عـــلى الخير وأن ترتب النتائج وفق أعماله، بينما سمح للشيطان أن يحاول دعوةَ الإنسان إلى الشر ما استطاع إليه سبيلاً.

ولما بعث الله آدمَ كان في هذه الدنيا – إلى جانب أتباع آدم – أناسٌ آخرون لم

يخضعوا للنظام الذي أتى به، وقد سمى الله ﷻ رئيسَ الفئة المتمردة على آدم بالشيطان أو إبليس لأن ذلك الرئيس ظلٌّ للشيطان الحقيقي. وما وقع بين آدم والرئيس المتمرد من أحداث في فترة طويلة ذكره الله ﷻ على شكل حوار موجز.

ولكن معلومًا أن الشيطان – الذي خُلق كحافز على الشر والذي هو غير مرئي كالملائكة – لا يأتي الناسَ بنفسه في صورة متجسدة ليحدّثهم ويؤذيهم، بل الحق أن الذين تتسبَّب سيئاتهم في زلة أقدامهم عن درجة الصلاح هم الذين يصبحون أظلالاً للشيطان، وأعمالهم هي التي تُنسب إلى الشيطان. كذلك كل الحوافز الأخرى على المعصية أيضًا تسمَّى شيطانًا، حيث ورد في الحديث: "قال رسول الله ﷺ: ليس منكم من أحد إلا وقد وُكّل به قرينه من الشياطين. قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن الله أعانني عليه فأسلم" (مسند أحمد ج ١ مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ).. فلا يأمرني إلا بالخير. أي لقد أحرزت الكمال في التقوى لذلك فإن الأمور التي تدفع بالناس إلى المعصية تزيدني أنا صلاحًا. وليس المراد من قوله ﷺ أن لكل إنسان شيطانًا مستقلا، وأن الشيطان الذي وكِّل به ﷺ قد صار مسلمًا. لو كان هذا هو المعنى فلماذا كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم. مما يعني أن الشيطان الحقيقي كان على حالته لم يتغير منه شيء، ولكن ما ينوب عن الشيطان من أفكار ورغبات كان قد أسلم وأذعن للنبي ﷺ، وأما من كان يمثّل الشيطانَ من البشر كأبي جهل وغيره.. فلم يُسلموا بل ما برحوا على شرهم ومكرهم.

أما قوله تعالى ﴿فإذا سوّيتُه ونفَختُ فيه من روحي فقَعُوا له ساجدين﴾ فضمير الغائب في (له) يعود إلى البشر أجمعين، لأن الله قد سخّر الملائكة لمساعدة كل فرد من البشر، ولأن الروح يُنفَخ في الجميع، وإن كانت درجاتهم في ذلك متفاوتة، حيث يتم نفخها في سائر البشر عمومًا، وفي الأنبياء خصوصًا. ومما يدل على أن هذا الأمر يشمل البشر أجمعين قولُه تعالى: ﴿وسخّر لكم ما في

السماوات وما في الأرض جميعًا﴾(الجاثية: ١٤)، كما يخبرنا القرآن الكريم أن الملائكة هي العلة الأولى لجميع ما يحدث في الكون. وما دام كل ما في الكون مسخَّرًا لصالح الإنسان فثبت أن الملائكة يعملون على خدمة البشر كلهم أجمعين. غير أن بعض الأشياء تخرج عن خدمة الإنسان نتيجة خطأ منه، فتضرّه بدلاً من أن تنفعه، وكأنها تخرج عن حكم الملائكة، وتتبع الشيطان الذي يعمل جاهدًا لإلحاق الضرر بالبشر.

وأما الزعم أن ذلك الكائن غير المرئي الذي يسمى شيطانًا هو الذي خرج بنفسه متجسدًا لمعارضة آدم فهو زعم باطل بداهةً، ومخالف للواقع والتجربة. فإننا نعرف من القرآن الكريم أن الشيطان أتى آدمَ وزوجتَه وتحدَّث معهما لإغوائهما (الأعراف: ٢٨). فلو كان ذلك الذي أتاهما هو نفس الكائن الذي يحث على المعصية فلم لا يستطيع الآن أبناءُ آدم رؤيةَ ذلك الشيطان بتلك العين التي رآه آدمُ بها؟ ولم لا يستطيعون الحديثَ مع الشيطان بذلك اللسان الذي تحدث به آدم معه؟ ولم لا يأتي ذلك الشيطان الناسَ لإغوائهم الآن أيضًا؟ خاصة وإن القرآن الكريم لا يقول أبدًا بأن جسد آدم كان مختلفًا عن أجساد أبنائه اليوم حتى يقال بأن آدم استطاع بذلك الجسد رؤيةَ الشيطان وحوارَه، ولكن أبناءه لا يستطيعون ذلك لاختلاف أجسادهم عن أبيهم. فما دام الأبناء أيضًا يملكون اليوم نفس الأجسادَ والقدراتِ التي تمتع بها أبوهم آدم، وما دام الشيطان هو هو لم يتغير.. فيجب أن يراه مئات الآلاف من البشر اليوم، ويجب أن يقابِل هو بجسده كلَّ الصالحين من بني آدم، سعيًا منه لإغوائهم. ولكن لا نجد بين البشر آلافًا ولا مئات بل ولا عشرات ممن يشهدون على أنهم مروا بمثل هذا الاختبار سواء في حالة الكشف أو الرؤيا، اللهم إلا ما نجد في القصص والأساطير التي لا ينهض على صدقها دليل ولا برهان. ولكن الشيطان الذي أتحدث عنه فإنه ما زال إلى اليوم يعرقل طريق كل نبي بنفس الطريقة التي لجأ إليها في زمن آدم، ويأبى ويستكبر كما أبى واستكبر أمام آدم، بل هذا هو دأبه

مع كل الصالحين في كل زمان ومكان.

قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَـٰلٍ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٤﴾

**التفسير**: أي أجاب رأسُ الفئة المعارضة لآدم: إن آدم كائن ذليل حقير لذلك لا يعاف الطاعة والانقياد، ويرى هو وأتباعه تقليد الآخرين مفخرةً، ولكني لست ذليلاً حقيراً مثلهم إذ خلقتَني مطبوعًا على الحرية والإباء، فكيف يمكن لي أن أرضى بطاعته.

هذه العبارة أيضًا هي من قبيل المجاز والتمثيل، إذ تعني أن العدو الأكبر لآدم وأتباعَه اعتبروا النظام الذي جاء به آدم منافيًا لحرية الضمير ورأوا في اتّباعه إهانةً لهم، فرفضوا الخضوع له، ظانين أنهم أحسن نظامًا وأمثل طريقًا مما يدعو إليه آدم. وقد عُبّر عن هذا المفهوم هنا بمصطلح الخِلقة الطينية والخِلقة النارية.

قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٥﴾

**شرح الكلمات**:

**رجيم**: (انظرْ شرح الكلمات للآية رقم ١٦)

**التفسير**: قال المفسرون أن ضمير الغائب في ﴿منها﴾ يعود على الجنة (تفسير البغوي والقرطبي، سورة الحِجر، قوله تعالى: قال فاخرجْ منها...). ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: إذا كان المراد هنا الجنة الحقيقية التي يدخلها الناس بعد الموت.. فأولاً: من المستحيل أن يدخل فيها الشيطان، وثانيًا: مَن يدخل فيها لا يمكن أن يُخرَج منها كما يؤكد ذلك القرآنُ الكريم في آيات كثيرة.* فكيف سُمح للشيطان بالدخول فيها، وكيف جاز طردُ آدم منها؟

* قال الله تعالى: ﴿فأزلّهما الشيطانُ عنها فأخرجَهما مما كانا فيه وقلنا اهْبِطوا بعضُكم لبعض

ولـــو قـــيل بأنها لم تكن بالجنة الحقيقية، بل كانت جنة على هذه الأرض التي نعـــيش علـــيها فأيضًا ينشأ سؤال: ما دام الله تعالى قد قام بطرد الشيطان منها فكيف استطاع أن يدخل فيها مرة أخرى لإغواء آدم؟

ولذلك أرى أن الجنة المشار إليها هنا لم تكن جنةً حقيقية، كما لم تكن منطقةً من هذه الكرة الأرضية يمكن تسميتها بالجنة، بل المراد منها ذلك المقام الروحاني مـــن رضوان الله تعالى الذي يتمتع به الناس قبل أن يُبعث بينهم نبي من الأنبياء. ذلك أن الحجة لا تكون قد أقيمت عليهم عن طريق النبي، وبالتالي لا يزالون – رغم كونهم على الخطأ – يتمتعون برحمة الله ورضوانه؛ ولكن عندما يُبعَث بينهم نبي ويكفرونه فإنهم يُحرَمون من جنة الرضوان الإلهي.

ومـــما يؤيد موقفي هذا أن القرآن الكريم قد صرح في سورة البقرة وكذلك في مواضـــع أخرى أنه بعد أن أغوى إبليس آدم طُردت ذريةُ كلٍّ منهما من الجنة. فثبت أن طرد الشيطان من الجنة لعدم سجوده لآدم ينطوي على مفهوم آخر.

## وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾

**شرح الكلمات:**

**اللعـــنة:** لَعَـــنَه لَعْنًا: طرَده؛ وأبعدَه من الخير؛ وأخزاه؛ وسبَّه. واللعنة: اسمٌ من اللعن؛ العذابُ (الأقرب).

**يوم:** اليوم: من طلوع الفجر إلى غروب الشمس؛ الوقتُ مطلقًا (الأقرب).

---

عـــدوٌّ ولكم في الأرض مستقرٌّ ومتاع إلى حين﴾(البقرة: ٣٧). وقال الله تعالى لإبليس: ﴿فَاهْبِطْ مـــنها فما يكون لك أن تتكبرَ فيها فاخرُجْ إنك من الصاغرين﴾(الأعراف: ١٤)، وقال: ﴿اخْرُجْ مـــنها مذؤومًا مدحورًا﴾(الأعراف: ١٩)، وقال: ﴿فاخْرُجْ منها فإنك رجيم﴾( ص: ٧٨). وقال الله عن أهل الجنة: ﴿لا يَمَسّهم فيها نَصَبٌ وما هم منها بمخرَجين﴾( الحِجر: ٤٩). (المترجم)

**الدِّين**: هو الجزاءُ والمكافأة؛ الطاعةُ؛ الذلُّ؛ الحسابُ؛ القهرُ والغلبة والاستعلاء؛ السلطانُ والمُلك والحُكم؛ التدبيرُ؛ اسمٌ لجميع ما يُعبَد به الله؛ الملةُ؛ الورعُ؛ القضاءُ (الأقرب).

**التفسير**: يمحو الله تعالى ذكرَ رأس المكفّرين لأنبيائه، ويُبقي على ذكر أنبيائه الكرام إجمالاً أو تفصيلاً. والنبوة هي في الواقع كسلسلة ينخرط فيها كل نبي قديم مع أتباعه بكل نبي جديد وأتباعه كالحلقات المتصلة.. فلذلك نجد كل نبي يذكر معارضي الأنبياء السابقين بالسوء دائمًا، وإن لم يلعنهم بذكر أسمائهم فعلى الأقل يكنّ في قلبه كراهية شديدة تجاه أفعالهم المنكرة. وبما أن النبوة سارية إلى يوم القيامة فلذلك قال الله ﷻ لإبليس: ﴿وإنّ عليك اللعنةَ إلى يومِ الدِّين﴾. ولا تتحدث هذه الآية عن أي عذاب لهم لأن عذابهم سيبدأ بكل شدة وقوة بعد حلول يوم الدين.

## قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٧﴾

**شرح الكلمات**:

**فَأَنْظِرْنِي**: أنظَرَه الدَّينَ: أخَّره (الأقرب).

**يُبعَثون**: بَعَثَه بَعْثًا: أرسَلَه؛ أثارَه وهَيَّجَه. بَعَثَ الموتى: أحياهم. بعثَه على الشيء: حمَله على فعله. والبعث: النشرُ (الأقرب).

**التفسير**: هذا الكلام أيضًا من قبيل المجاز أو لسان الحال، وليس أن الشيطان أو أشباهه طلبوا بالفعل من الله تعالى مهلة كهذه.

لقد سبق أن بينتُ أن هذه الآيات تتحدث عن آدم وغيره من الأنبياء خصوصًا، وعن أبناء آدم عمومًا، مع العلم أن معنى نفخ الروح في آدم والأنبياء الآخرين هو نزول الوحي عليهم، وأما معناه في خصوص أبناء آدم أي البشر عمومًا فهو تكميل النفس الإنسانية. وأما قول الشيطان لله تعالى: ﴿فأَنظِرْني إلى يوم يُبعَثون﴾

فمعناه أيضًا يختلف بالنظر إلى الفئتين:

فـــيعني بالنسبة إلى الفئة الثانية أي البشر عمومًا: يا رب، آتِني المهلة لإغوائهم حتى ما قبل بعثتهم روحانيًّا.. أي ما لم يحمِ الإنسان نفسه من هجمات الشيطان بدخولـــه في عداد عباد الله المخلَصين يُمنَح الشيطان وذريتُه فرصة إغوائه.

ومـــا يدل على أن البعث هنا روحاني وليس بمعنى حشر الأجساد أنه تعالى لم يقل هنا "إلى يوم الموت" بل قال ﴿إلى يوم يُبعثون﴾. ومعلوم أن إمهال الشيطان لإغواء البشر إلى يوم البعث الحقيقي مستحيل، لأن اختبار الإنسان ينتهي بموته، وليس هناك ديانة تعتقد بأن الشيطان أو الملائكة يستمرّون في إغواء الإنسان أو هدايـــته بعـــد موته أيضًا إلى أن تقوم القيامة. فلو أخذنا "يوم البعث" هنا بمعنى حشـــر الأجساد لخالفْنا تعليم القرآن وخالفْنا أيضًا ما يمليه علينا العقل والمنطق السليم. إذن فكل إنسان عاقل سوف يعتبر يوم البعث هنا بمعنى البعثة الروحانية، وأن المراد من الآية هو أن الشيطان أو أظلاله من البشر إنما يستطيعون إغواء أحد مـــن الـــناس ما لم تتم بعثته روحانيًّا.. أو بتعبير آخر.. ما لم تتيسر لـــه النفس المطمئـــنة الـــتي تطيع الله تعالى دائمًا؛ أما بعد حصوله على النفس المطمئنة فإن الشيطان وذريته يَيْئَسُون منه، ويشرعون في إيذائه وتعذيبه بدلاً من محاولة إغوائه وتضليله.

وأما بالنظر إلى آدم وخلفائه الحقيقيين وهم الأنبياء فالمراد من إنظار الشيطان هو أنه يُسمَح للشيطان وأتباعه بالطعن في الأنبياء بأنواع التهم والأكاذيب، وعرقلة طريقهم، ومهاجمتهم وتعذيبهم، إلى أن يأتي يوم بعث هؤلاء الأنبياء..أي إلى أن يـــأتي الزمن المقدر لانتصارهم. وبتعبير آخر، يُمهَل الشيطان وأعوانه وفق الوعد الإلهـــي المذكور في قوله تعالى ﴿إلا مَن استرقَ السمعَ﴾ وقوله ﴿إلا مَن خَطِفَ الخَطفةَ﴾ لكي يطعنوا ما شاءوا في تعاليم الأنبياء كذبًا وزورًا، ولكن عندما يأتي يـــوم غلبتهم تذهب ريح هؤلاء الشياطين مثل الزبد. هكذا جرت سنة الله ﷻ مـــنذ زمن آدم إلى عصر نبينا ﷺ حيث لم يزل الله تعالى يُمهِل الكفار، بناءً على

بعض حكمه، ليملئوا الدنيا صراخًا وضجيجًا ضد الرسل، ويمكروا بهم بصنوف الحيل والخُدع، إلى أن يأتي يومُ بعثهم حيث ينادي الله رسلَه وجماعاتهم قائلاً: ها لقد انتهى زمن اختباركم، فهُبُّوا الآن واستولُوا على العالم؛ فأصبح الأنبياء ظاهرين منتصرين، وصار المعارضون خامدين خمود الزَبَد، بل آمن كثير منهم وانضموا إلى جماعة الأنبياء.

ولا تعني هذه الآية أن الشيطان بالفعل يطلب من الله تعالى المهلة في زمن الأنبياء فيمنحه إياها، بل إنه كلام مجازي كما أسلفتُ، ومعناه أن الشياطين أي الأعداء يتمنون في قلوبهم أن ينقضّوا على أنبيائهم فيسحَقوهم سحقًا، ويسمح الله تعالى لهؤلاء الماكرين بأن يدخروا وسعًا لتحقيق أمانيهم الخبيثة، ولكن هذا السماح يستمر إلى يوم بعث الأنبياء فقط، ثم يجعل الله رسله غالبين، ويردّ أعداءهم خائبين، فيرون هلاكهم بأم أعينهم.

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٨﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٩﴾

**التفسير**: أي سنمنحكم المهلة، ولكن فقط إلى ذلك الوقت الذي أخّرنا إليه انتصارَ رسلنا، ولكن حين يأتي زمن غلبتهم ستنتهي فترة المهلة هذه، وسنسحقكم بآياتنا القهرية أيها الشياطين أئمةَ الكفر.

وأما ﴿يوم الوقت المعلوم﴾ فهو ما سبقت الإشارة إليه في بداية السورة بقوله تعالى ﴿وما أَهلَكْنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم﴾(الآية ٥).. أي أن كل قرية من القرى التي عارض أهلُها رسلَنا لم نهلكها في أول يوم، بل أَمْهَلْنا كلَّ واحدة منها بالنظر إلى المهمّة الموكولة إلى كل رسول. فمنهم من أجّلنا عقابهم قليلاً وأهلكناهم في حياة نبيهم، كما حصل في زمن سيدنا موسى وفي زمن نبينا الكريم ﷺ؛ ومنهم من أمهلناهم طويلا، ثم أهلكناهم بعد رحيل نبيهم كما حصل مع المسيح عليه السلام.